أم النبي

سموّ المعنى في سموّ الذات

حسين علي المصطفى

دار المحجة البيضاء

أم النبي

سمو المعنى في سمو الذات

حسين علي المصطفى

دار المحجة البيضاء

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

إهداء

نور الحق هو الذي يزين نور الحس..

ونور الحس يجتذب الإنسان نحو الثرى..

وأما نور الحق فيسمو به نحو العلى..

يا رسول الله..

أضع على قبرك قطرة دمع حزينة، كقطرة دمعك التي سكبتها على قبر أمك الطاهرة...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

جلست ذات يوم أبحث بلا هدف في جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) لعلي أقتنص خبراً مفيداً يأخذ بي في عالم المعرفة العريض فظهرت لي صفحة موقع من المواقع الإلكترونية، وفي هذه الصفحة كتب بعض السعوديين معاناته في زيارته لمنطقة الأبواء[1]، وسأنقل ما كتبه من دون إضافة أو تعديل في نصه أمانة للنقل. يقول هذا السعودي:

---

(١) الأبواء: بهمزة مفتوحة وباء موحدة ساكنة بعدها واو ثم ألف ممدودة: قرية من أعمال (الفُرُع) من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون كيلو متراً. وهو واد من أودية الحجاز، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة فيتكوّن من التقائهما وادي الأبواء، ويسمى اليوم (وادي الخُرَيْبة). وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، وكان السبب في دفنها هناك أنّ عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب، تخرج في كلّ عام إلى=

بعد أن منّ الله على جموع المسلمين بأداء فريضة الحج للعام الهجري ١٤٢٥هـ، وفي أثناء عودتي إلى مقر عملي، لم أجد رحلة من جدة للدمام وذلك لعدم الحجز المبكر.

فقلت أستأجر سيارة من جدة أسلمها في مطار ينبع، ويكون السفر بالطائرة عن طريق مدينة ينبع التي تبعد عن جدة حوالي ٣٨٠ كم تقريباً، وللحق فإنّ الطريق في منتهى السهولة والأمان، ولله الحمد، ويعد بحق من أفضل إنجازات وزارة المواصلات في العشر سنين الأخيرة، ويجب استغلال مثل هذه الخطوط في التنشيط السياحي الذي يوفر فرص العمل للكثير من الشباب، ويعود بالكثير من العائدات على جملة دخول عناصر الإنتاج، ومنها أرباح قطاع الأعمال الذين يستفيدون من مثل هذه المشروعات العملاقة بإقامة محطات البنزين والاستراحات والبقالات والمطاعم..

= المدينة، تزور قبره، فلما أتى رسول الله ﷺ ست سنين خرجت زائرة لقبره، ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها، ويقال: إنّ أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلمّا رجع منصرفاً ماتت بالأبواء» (انظر: معجم معالم فقه المناسك للمؤلف: ج١ ص٨٠).

ولو طرح عرض على شركات الاستثمارات السياحية لتطوير منطقة (الأبواء) وإنشاء مسجد كبير بها (يسمى مسجد السيدة آمنة) وإنشاء فندق واستغلال ذلك الوادي الجميل في إنشاء حديقة عملاقة ستكون فسحة لأهل جدة ومكة وكذلك أهل ينبع والمدينة المنورة للاستجمام في هوائها النقي لإتاحة الفرصة للحجيج في أداء مناسكهم في سهولة ويسر، فستكون هنالك الكثير من العروض التي تريد الاستثمار في مثل هذه المنطقة الحيوية، التي تمثل للمسلين الشيء الكبير، وستكون هنالك عروض كبيرة وغير متوقعة من قبل أكثر الناس.

المهم وفي أثناء طريقي من جدة إلى ينبع كان هنالك على الطريق لوحة إرشادية، بعد ٢٠٠ كم تقريباً وقبل الوصول إلى مدينة ينبع الصناعية بـ ١٨٠ كم، تشير إلى مخرج يوصل إلى منطقة الأبواء، وهي المنطقة التي توفيت بها أم المصطفى ﷺ وذلك أثناء عودتها إلى مكة المكرمة قادمة من المدينة المنورة التي كانت مقر بني النجار، أهل والدة سيدنا عبد المطلب، جد المصطفى ﷺ، والتي كانت في زيارة لها آنذاك لسيدنا عبد الله والد المصطفى الذي توفي بالمدينة قبل مولد الرسول ﷺ، وقد كانت قافلة بني هاشم عائدة من المدينة المنورة وفيها جد المصطفى سيدنا عبد المطلب وأعمام الرسول أبو طالب وحمزة

رضي الله عنهم، ونفر من قريش ولم يبلغ المصطفى عامه السابع بعد.

وفي الأبواء توفيت السيدة آمنة بنت وهب أم المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكما نعرف في التاريخ أنّ الرسول ﷺ قد قدم إلى هذه المنطقة وهو في طريقه لفتح مكة في السنة التاسعة للهجرة وبكى حتى أبكى الصحابة الكرام، ولربما أنه قد زارها أيضاً في أيام حياته قبل الفتح أو قبل البعثة النبوية، المهم وبعد الاتجاه يميناً من على الطريق المؤدي إلى ينبع كانت هنالك أيضاً لوحة إرشادية في بداية المخرج تشير إلى أنّ الأبواء بعد ٢٣ كم تقريباً، وقلت الحمد لله الذي هيأ لي هذه الزيارة بدون قصد مني، وأخذت ألهج بالدعاء لوالدة المصطفى التي حملت في أحشائها سيد ولد آدم ورعته إلى أن شاء الله أن يختارها إلى جواره ولم يبلغ المصطفى عامه السابع.

وبعد أن وصلت إلى الأبواء لم أجد أي شيء يدل على أنّ الرسول ﷺ قد وصل إلى هذه المنطقة، أو أنّ له أي صلة بها لا من قريب ولا من بعيد، لا يوجد إلا محطة للبنزين وبها سألت أحد الأخوة والذي أرشدني إلى الجبل الذي به قبر أم المصطفى، وقد نصحني مشكوراً بأن لا أذهب لأنّ رجال الهيئة سوف يمنعونني.

عندئذ لم أرَ الهيئة، فأوقفت سيارتي أسفل الجبل على الطريق

العام لأنّ الجبل قد أحيط بسور عمله رجال الهيئة بالشيول ليمنع دخول السيارات إلى المنطقة، المهم صعدت أعلى الجبل وأخذت أجهش بالبكاء حسرة وندامة على ذلك الأثر العظيم المهمل من الرعاية إلا رعاية المولى تبارك وتعالى ورعاية أولئك الأعراب من رجال الهيئة، الذين قد بنوا ثلاثاً من الخيام كل واحدة تحيط بالجبل من اتجاه ومعهم سيارة جيب باترول أبيض يتحركون به باتجاه أي سيارة تقف بجوار الجبل والتحقيق معه لماذا أتى؟ وإرشاده إلى أنه ارتكب منكراً من الفعل تمثل في زيارة هذه المشركة الخالدة في النار كما تشير فتواهم الصادرة عن مجمع الفتاوى برقم ٤/ ٣٢٤/ ٣٢٧ التي توزع على الناس بواسطة رجال الهيئة (مركز محافظة الأبواء) صورة منها مرفقة أعلاه.

سألني رجل الهيئة ما الذي أتى بك إلى هنا؟

فقلت: أليست هذه الأبواء؟

قال: نعم.

قلت: أليس هذا قبر أم الرسول ﷺ؟

قال: بلى.

قلت: قد قدمت لزيارتها كما فعل الرسول ﷺ.

قال: إنّ الرسول قد استأذن ربه في زيارتها فأذن له، ثم استأذنه في الدعاء لها فلم يؤذن له.

قلت له: إذاً أنا سوف أزورها كما فعل الرسول ﷺ ولن أدعو لها (طبعاً عامل فيها ذكي)!!.

فأكد لي أنّ ذلك لا يجوز، وقام بإخراج ورقة الفتوى المبينة أعلاه، وأشار إلى أنها في النار خالدة مع أبيه عليهم الصلاة والسلام، وهذا رأي أهل العلم والمعرفة على حد قوله.

أخذت أسأل نفسي ما الذي ارتكبته أم الرسول ﷺ في حقنا حتى نقيم على قبرها مثل هؤلاء الناس ليمنعوا المسلمين من زيارتها كما فعل الرسول ﷺ.

ما الذي ارتكبته أم الرسول ﷺ في حقنا؟!

وهل هذا جزاء إهدائها لنا، بأمر الله، الرحمة المهداة سيدنا محمداً ﷺ؟ حتى نُهمل قبرها بمثل هذه الطريقة، ونعامل زائريه بمثل هذه الجفوة والغلظة، ولماذا؟!!

لم أجد جواباً لذلك، ولن يكون هنالك جواب مقنع لأي مسلم سويّ يحب الله والرسول وقربى الرسول، إن محبة الرسول ﷺ هي الإيمان، بل أقسم الرسول ﷺ بقوله: «والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» أو كما قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

والله تبارك وتعالى لم يجعل محبة آل محمد شيئاً اختيارياً بل جعله أجر الدين حيث قال جلّ وعلا:

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾»[1].

وهل هنالك أقرب للمصطفى ﷺ من أمه السيدة آمنة بنت وهب؟!

وهل من المودة أن ننفر الناس عن زيارة أم المصطفى عليها السلام، ثم نوزع المنشورات الساقطة التي تشير إلى أنها مع أبيه عليهم الصلاة والسلام في النار خالدين!!!

وإذا كان أبوا حبيب الله وخليله وخاصته من خلقه في النار، فمن الذي في الجنة؟! وكيف لأمثالنا بدخول الجنة؟!

انتهى كلام هذا الرجل.

ولم يمضِ وقت طويل على قراءتي لهذه الحادثة حتى وقع بصري على جواب مثير لمفتي عام المملكة العربية السعودية السابق الشيخ عبد العزيز بن باز في معرض رده على سائل السؤال رقم (٥٧) من سلسلة فتاوى نور على الدرب، جاء كما يلي:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

س ٥٧: قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١]، وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ أخبر أن والديه في النار.

والسؤال: ألم يكونا من أهل الفترة والقرآن صريح بأنهم ناجون؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب: أهل الفترة ليس في القرآن ما يدل على أنهم ناجون أو هالكون، إنما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ والله جل وعلا من كمال عدله لا يعذب حتى تقام عليه الحجة، أخبر سبحانه أنه لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة. والحجة قد تقوم عليهم حتى يوم القيامة، كما جاء في السنة أنه تقام الحجة على أهل الفترات ويمتحنون يوم القيامة؛ فمن أجاب وامتثل نجا، ومن عصى دخل النار، والنبي ﷺ قال: «إنّ أبي وأباك في النار» لرجل سأله عن أبيه؛ قال: أين أبي؟ فقال: «في النار». فلمّا رأى ما في وجهه من التغير قال: «إنّ أبي وأباك في النار»؛ حتى يتسلّى بذلك، وأنه ليس خاصاً بأبيه، ولعل هذين بلغتهما الحجة، فلعل أبا الرجل وأبا النبي ﷺ بلغتهما الحجة.

والنبي ﷺ حينما قال: «إنّ أبي وأباك في النار». قاله عن

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

علم، فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]. فلولا أن عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ قد قامت عليه الحجة؛ لما قال النبي ﷺ في حقه ما قاله، فلعله بلغه ما يوجب عليه الحجة من جهة دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا على ملة إبراهيم حتى أحدثوا ما أحدثه عمرو بن لحي الخزاعي، وسار في الناس ما أحدثه عمرو، من بث الأصنام ودعوتها من دون الله، فلعل عبد الله كان قد بلغه ما يدل على أنّ ما عليه قريش من عبادة الأصنام باطل فتابعهم؛ فلهذا قامت عليه الحجة.

وهكذا ما جاء في الحديث من أنه ﷺ استأذن أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له، فاستأذن أن يزورها فأذن له، فهو لم يؤذن له أن يستغفر لأمه؛ فلعله لأنه بلغها ما يقيم عليها الحجة، أو لأنّ أهل الجاهلية يعاملون معاملة الكفرة في أحكام الدنيا، فلا يُدعى لهم، ولا يستغفر لهم؛ لأنهم في ظاهرهم كفار، وظاهرهم مع الكفرة، فيعاملون معاملة الكفرة وأمرهم إلى الله في الآخرة. فالذي لم تقم عليه الحجة في الدنيا لا يعذب حتى يمتحن يوم القيامة؛ لأنه

(١) سورة النجم، الآيات: ١-٤.

سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فإذا علم كان أناس في فترة لم تبلغهم دعوة نبي فإنهم يمتحنون يوم القيامة فإن أجابوا صاروا إلى الجنة وإن عصوا صاروا إلى النار، وهكذا الشيخ الهرم الذي ما بلغته الدعوة، والمجانين الذين ما بلغتهم الدعوة وأشباههم، وأطفال الكفار على الصحيح يمتحنون؛ لأن الرسول ﷺ لما سئل عنهم قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، فأولاد الكفار يمتحنون يوم القيامة كأهل الفترة، فإن أجابوا جواباً صحيحاً نجوا، وإلا صاروا مع الهالكين، فليس بحمد الله في حق أبوي النبي ﷺ إشكال على من عرف السنة وقاعدة الشرع. (انتهى كلام الشيخ ابن باز).

وتتكرر هذه الإثارة في تدنيس مقام هذه الشخصية العظيمة، والأم الجليلة لرسول الله ﷺ في موقع إلكتروني تابع للشيخ ناصر العمر في إجابة لسؤال حول الترحم للأم الكتابية مستدلاً بحرمة ذلك إلى الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[1]، والمروي عن رسول الله ﷺ في مسلم: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

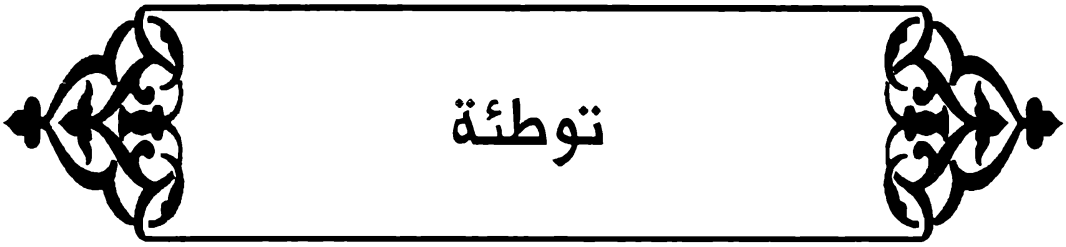

توطئة

لقد ولد أعظم عظماء هذا العالم ﷺ من أبوين عظيمين، هما: عبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب.

وإذا كان المرء أحياناً يشرف أبويه، فإنّ الأبوين يرتفع ذكرهما بذكر أبنائهما أو بعضهم لو كان للأبناء أو بعضهم ذكر.

فالله لم يشأ أن يقطع الآباء عن الأبناء، فخير الآباء إلى الأبناء نازل، ولم يشأ أن يقطع الأبناء عن الآباء، فخير الأبناء إلى الآباء صاعد.

وعندما نقرأ القرآن الكريم، الأنبياء الصالحون عليهم السلام، لا يفتأ الواحد منهم يدعو لذريته، من رأى منهم ومن لم ير؛ فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ينتهيان من أكبر عمل صالح، وهو بناء الكعبة المعظمة، ثم يسألان الله القبول منهما والدعاء لأنفسهما ولذريتهما ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

وإبراهيم نفسه - من قبل - قد دعا الدعوة نفسها لإسماعيل وبنيه ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(١).

وهذه امرأة عمران وصعت ابنتها مريم، ووهبتها لبيت الله خادمة له: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢)...

والصالح من البشر - إن استقام على مقتضى فطرته - تجده يقول في دعائه: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾(٣)...

والله ﷻ - برحمته وعظيم عطفه - يستجيب لهذه الضراعات فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾(٤).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٤) سورة الطور، الآية: ١٢.

ويأتي رسول الله ﷺ، من أبوين شريفين عبد الله وآمنة، على رأس الأوفياء، فما كان يوماً يمر بقبر أمه إلا ويجلس إلى هذا القبر منفرداً يناجي ربه في شأنها بما لا نعلمه من المناجاة.

ثم ينصرف ﷺ عن قبر أمه وآثار التأثر بادية عليه، فهو يذكر لأمه أحوالاً وأياماً قضتها معه، وهو يذكر لأمه شفقتها به ورحمتها له، وهو يذكر لأمه أنّ زوجها قد رحل عنها وما يزال وميض المسك يلمع في مفرقه وخضاب العرس لم يغادر أطراف آمنة بعد، وهو يذكر لأمه ما قاسته بعد فراق زوجها من الوحدة تعاني فيها ومعها أوزار الترمل الثقال... إنّ النبي ﷺ ينصرف عن قبر أمه وقد ذكر من أحوالها فيأخذ ما يأخذ الابن إذا ذكر أحد أبويه فتجيش به نفسه، وتدمع على أثر هذا التأثر عيناه، ويبكي ما شاء الله له أن يبكي، ويبكي صحابته لبكائه متأثرين بحال نبيهم وما يعتريه، ولا أظن، ولا أحد غيري يظن، أنّ النبي ﷺ سيكون من بين العالمين، هو الذي يتنكر لفضل أمه عليه، ولا يدعو لها بالرحمة، ولا يخاطب ربه في شأنها على نحو ما قال ربنا في خطاب عام ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[1].

ونحن لا نلتفت إلى ما التفت إليه بعض الناس حين قالوا: «إنّ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

النبي قد نهى عن أن يستغفر لأمه أو يتحدث إلى ربه في شأنها. أو الذين قالوا: إنّ النبي قد نهى عن أن يستغفر لأمه آمنة استندوا بذلك إلى حديث يقرأ في متون كتب الحديث.

وإجمال هذا الحديث من جميع طرقه: أنّ رسول الله ﷺ قد ذهب إلى قبر أمه آمنة، زهرة قريش، يزورها ثم عاد ﷺ متأثراً باكياً، فلما سئل عن ذلك قال: إنه استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن الله له، ثم سأل ربه في الاستغفار لها فلم يأذن الله له، ثم كانت هذه الزيارة وما ألمَّ بها سبباً في نزول آية براءة وهي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[1].

وهذا الحديث بجميع طرقه لم يرد في كتاب من الكتب الستة، وإنّما هو قد أخرجه الحاكم النيسابوري وابن حبان من حديث عبد الله ابن مسعود[2]، وأخرجه الإمام أحمد من حديث بريدة[3]، كما أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٣٦٦ ح٣٢٩٢، وصحيح ابن حبان: ج٣ ص٢٦١ ح٩٨١.

(٣) مسند أحمد: ج٥ ص٣٥٥ ح٢٣٠٥٣.

(٤) راجع: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج٨ ص٥٠٨.

ولقد ذهب علماء الحديث إلى أنّ صحة السند لا تستلزم صحة المتن المروي به، فقد يكون السند صحيحاً ولكن المتن ضعيف[١]؛ «لاحتمال صحة الإسناد مع أنّ في المتن شذوذاً أو علة تمنع صحته»[٢].

وقال القسطلاني: «لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن، كما هو معروف عند أهل هذا الشأن؛ فقد يصح الإسناد ويكون في المتن شذوذ أو علة تقدح في صحته، ومثل هذا لا يثبت بالحديث الضعيف»[٣].

وقال الزرعي: «لا يلزم من مجرد صحة السند صحة الحديث ما لم ينتف عنه الشذوذ والعلة»[٤].

ولقد نظر ابن حجر العسقلاني إلى هذا الحديث نظرة عامة تشمل جميع طرقه، واستنتج إلى أنّ من صحح هذا الحديث في أحسن أحواله إنّما ذهب إلى تصحيح السند فقط أما المتن فلا يصح لمعارضته للواقع.

---

(١) تحفة الأحوذي: ج١ ص١٧٨ وج٢ ص٩٣ وص٩٩.
(٢) كشف الخفاء، للعجلوني: ج١ ص١٢٣.
(٣) أبجد العلوم: ج١ ص٤٤١.
(٤) حاشية ابن القيم: ج١ ص٧٧.

وسوف نحاول أن نتبع الحديث من طرقه المختلفة لننظر في سنده بعد حكم ابن حجر على متنه:

١ - حديث عبد الله بن مسعود:

وقد أخرجه الحاكم على هذا النحو: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، حدثنا عبد الله بن وهب، أنبأنا ابن جريح، عن أيوب بن هانىء، عن مسروق بن الأجدع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر، وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها، فناجاه طويلاً، ثم ارتفع نحيب رسول الله باكياً، فبكينا لبكائه، ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟! فقد أبكانا وأفزعنا. فجاء فجلس إلينا فقال: أفزعكم بكائي؟! فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي، فيه قبر أمي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه، فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل عليّ:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ

عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾[١]. فأخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني»[٢].

وقد حكم الحاكم النيسابوري في مستدركه على هذا الحديث من هذا الحديث من هذا الطريق بأنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك وقال: «قلت أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين..»[٣].

ونحن نعجب من الذهبي يأخذ - هنا - هذا المأخذ فيضعفه بضعف أحد رواته، ثم هو في ميزان الاعتدال يصحح الحديث تبعاً للحاكم. ولعله يكون قد وهم حين حكم على الحديث بالصحة في الميزان.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١١٣ - ١١٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي: ج٢ ص٣٦٦ ح٣٢٩٢، ط دار الكتاب العربي بيروت، وصحيح ابن حبان: ج٣ ص٢٦١ ح٩٨١، وموارد الظمآن، للهيثمي: ص٢٠١ ح٧٩٢.

(٣) انظر: ميزان الاعتدال: ج١ ص٤٦٦ ت١١١٢، والكامل في ضعفاء الرجال، للجرجاني: ج١ ص٣٥٩، والمغني في الضعفاء: ص٩٧ - ٩٨، وتهذيب التهذيب: ج١ ص٣٧٢ رقم ٧٦١، وتلخيص الحبير: ج٢ ص ١٣٧ ح٧٩٧.

فهذا الحديث وإن لاحقته علة في سنده، فإنّ هناك عللاً أخرى تلاحقه في متنه ودلالته:

العلة الأولى: إنّ ظاهر الرواية يوحي أنّ الرسول ﷺ قد دخل المقابر يتخطاها ويتجاوزها ويتفقد من بينها قبر أمه، وهذا أمر يخالف الواقع فالمعروف أن أم النبي ﷺ مدفونة بالأبواء على الطريق بين مكة والمدينة، وليس هنالك قبور غير قبرها، وهذا الواقع يناقض ظاهر الحديث مما يستوجب رده.

العلة الثانية: في المتن علة أخرى ظاهرة تحملنا على رفضه، وهي أنّ هذا الحديث قد سيق على أنه سبب لنزول آية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، وهو خطأ صريح لأن سبب نزول هاتين الآيتين، كما جاء عندهم في صحيح البخاري وصحيح مسلم، هو: أن النبي كان يحاول أن يستغفر لعمه أبي طالب.

فقد حدّث البخاري في صحيحه بالسند إلى سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية؛ فقال النبي ﷺ: أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال أبو طالب:

بل على ملة عبد المطلب، فقال النبي: لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾(١) (٢).

فالبخاري من خلال روايته هذه يفيد أن الآية مكية(٣)؛ والكلام لا يستقيم مع رواية الحاكم النيسابوري عن ابن مسعود السالفة الذكر إلا إذا قلنا: إن الآية مدنية.

العلة الثالثة: أنّ الحاكم النيسابوري نفسه يروي نزول هذه الآية في وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ، ومعلوم أنها لا تتوافق إلا في العهد المكي(٤).

وهكذا يظهر لنا بوضوح أنّ رواية الحاكم في المستدرك ضعيفة لسبب يرجع إلى متنها، وهي ضعيفة أيضاً من جهة أخرى لسبب يرجع إلى السند.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) صحيح البخاري: ج٤ ص١٧١٧ ح٤٣٩٨، وصحيح مسلم: ج١ ص٥٤ ح٢٤، وصحيح ابن حبان: ج٣ ص٢٦٢ ح٩٨٢، والسنن الكبرى: ج١ ص٦٥٤ ح٢١٦٢، ومسند أحمد: ج٥ ص٤٣٣ ح٢٣٧٣٤، والإيمان، لابن مندة: ج١ ص١٧٩ - ١٨٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ج٨ ص٢١٩ - ٢٢٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٣٦٦ ح٣٢٩٠ و٣٢٩١.

٢ - حديث بريدة:

الحديث الذي ذكره بريدة في المعنى نفسه جاء بألفاظ مختلفة ومن طرق متعددة سنذكر منها:

ما جاء في مسند الإمام أحمد قال: حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا حسن بن موسى وأحمد بن عبد الملك قالا: ثنا زهير، قال أحمد ابن عبد الملك في حديثه: ثنا زبيد بن الحارث اليامي، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ فنزل بنا، ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلّى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخطاب، ففدّاه بالأب والأم يقول: يا رسول الله ما لك؟!

قال: «إني سألت ربي عز وجل عن الاستغفار لأمي فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور فزوروها لتذكيركم زيارتها خيراً، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً»[1].

---

(١) مسند أحمد: ج٥ ص٣٥٥ ح٢٣٠٥٣، وصحيح ابن حبان: ج١٢ ص٢١٢ ح٥٣٩٠، ومجمع الزوائد: ج١ ص١١٦، والمعجم الأوسط: ج٦ ص٢٧٤ ح٦٣٩٨.

وفي قراءتنا لهذا الحديث نجد السفر الوارد فيه مبهماً، وقد يزول الإبهام لو اطلعنا على الحديث نفسه من رواية ابن جرير من طريق علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: إنّ النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر فجلس إليه، فجعل يخاطب، ثم قام مستعبراً، فقلنا: يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت!! قال: «إنّي استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي»، فما رئي باكياً أكثر من يومئذ[1].

ومعلومٌ باليقين أن قبر السيدة آمنة في الأبواء وليس في مكة، وهذه علة ظاهرة في هذه الرواية تخدش في دلالتها عوضاً عن سندها.

٣ - حديث عبد الله بن عباس:

أخرج الطبراني بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر، فلما هبط من ثنية عسفان، أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم. فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً، ثم إنه بكى فاشتد

(١) تفسير الطبري: ج١١ ص٤٢، تفسير ابن كثير: ج٢ ص٣٩٤، وفتح الباري: ج٨ ص٥٠٨.

بكاؤه، وبكى هؤلاء لبكائه، وقالوا: ما بكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد حدث في أمته شيء لا يطيقه، فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: يا نبي الله بكينا لبكائك قلنا لعله حدث في أمتك شيء لا تطيقه! قال: «لا، وقد كان بعضه، ولكن نزلت على قبر أمي فدعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة، فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت، ثم جاءني جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[1]، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه، فرحمتها وهي أمي، ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعاً، فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع اثنتين...»[2].

وفي هذا الخبر ما لا يخفى من العلل:

أولاً: قد ذكر هذه الرواية ابن كثير وعزّاها إلى الطبراني، ثم قال بعد ذكر الحديث: «وهذا حديث غريب وسياق عجيب»[3]، وعبارة ابن كثير تشعر بضعف الحديث بل هي قاطعة بذلك.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.
(٢) المعجم الكبير: ج١١ ص٣٧٤ ح١٢٠٤٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ج٢ ص٣٩٥.

وثانياً: أنها كسابقتيها على هذا النحو مخالفة لرواية البخاري ومسلم.

وثالثها: أنها تحملنا على الاعتقاد بأنّ أم النبي قد دفنت بمكة وفيها مخالفة للواقع والتاريخ.

ولقد لاحظ ذلك جلال الدين السيوطي، فقال تعليقاً على خبر ابن عباس الموجود في الطبراني بعد أن ساق لفظه: «له علتان مخالفة الحديث الصحيح، كما سبق، وإسناده ضعيف، والشيء العجيب أنّ حديث الزيارة كما رأيت بجميع رواياته وطرقه ومتابعاته وشواهده لا يقوى على الاستدلال به في موضوعه وبابه».

موقع آمنة وأمهات الرسل والأنبياء

الذي يبقى محل اعتقادي واعتقاد المسلمين هو أنّ النبي ﷺ كان باراً بأمه كما كان باراً بأبيه، يزور قبريهما، دون أن يمنعه شيء في ذلك إلا ما كان في وهم أناس لا يستندون إلى حقيقة عقلية، ولا إلى نص من كتاب أو سنة، وما كان لنا ولا لغيرنا أن نعتقد بأنّ النبي أقل وفاء بأبويه من آحاد أمته.

وما كان لنا ولا لغيرنا أن نعتقد بغير نص شرعي بأنّ الله عزّ وجل أرسل نبيه رحمة للعالمين ثم يسيئه في أبويه؛ ويؤلمه فيهما على رؤوس الأشهاد دون ما سبب مقبول، إلا ما عساه أن يكون من هوى جامح لدى البعض الذين يريدون أن يجففوا منابع الحب في القلوب، وأن يفرغوا سلوك الوفاء من معانيه بادئين من القمة التي تربعها رسول الله ﷺ.

إن الحديث عن آمنة أم النبي ﷺ، لا يجوز أن يكون بمعزل عن الحديث عن أمهات الأنبياء والمرسلين، كما أنّ الحديث عن النبي ﷺ نفسه لا يجوز أن يكون بمعزل عن الحديث عن

الأنبياء عليهم السلام، لا في شخصياتهم ولا في رسالتهم فنحن نعلم جميعاً أن الله قد أمر نبيه ﷺ أن يعلم في فم الزمان أنه ليس بدعاً من الرسل، كي يعلم الناس جميعاً أنّ سلسلة النبوة متصلة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾(١).

وإذا كان الأمر على هذا النحو فإنّ الحديث عن سيدتنا آمنة، أم النبي وزهرة قريش، لا يجوز أن يكون معبّراً عن حالة فريدة، مقطوعة الصلة بالأشباه والنظائر.

وأشباه آمنة ونظائرها هن أمهات الأنبياء عليهم السلام اللائي تكون كل واحدة منهن وعاء لنبي مرسل، فهو جزء منها يتكون في بداية خلقه، وفي فترة بقائه هو وديعة عندها يأخذ كما يأخذ كل مخلوق غذاءه منها، ويتم بينه وبينها نوع من العلاقة العاطفية والوجدانية المتبادلة، لا يجوز أن يحكم عليها أحد بالانفصام أو القطع، إلا أن يكون إنساناً لا بصر له بالواقع، ولا خبرة له بالتكوين الحيوي والنفسي.

ومثلي لا يكون مطالباً بأن يؤكد قاعدة استقر عليها الناس واستقبلوها بالارتياح والقبول وهي: «أنّ المكان يشرف بشرف المكين، وطبقاً لهذه القاعدة فإنّ الإنسان لا يجرؤ بحال من

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

الأحوال أن ينال من أم نبي من الأنبياء، فينزل بها عن المستوى اللائق بهذا النبي الذي أقام وتكوّن على بعض منها.

هذا حكم العقل المقطوع به، يدركه كل من رزق قدراً من الوعي، ولا يأبى التسليم به إلا شانىء لا يتسع أن يحكم بالعدل، ولا يتسع خلقه أن يعطي النصفة ولو من نفسه، وليس حكم العقل وحده هو الفيصل في هذه القضية، قضية شرف أمهات الأنبياء، وإنّما يجاور حكم العقل حكم النص وحكم التاريخ معاً.

فالواقع والتاريخ الخاصان بالأنبياء يعضدهما النص الشرعي، أمور تتعاضد وتتكافأ وتتعاون فتؤكد ما انتهى إليه العقل من حكم في هذه القضية الهامة.

فلو أننا تتبعنا تاريخ الأنبياء، وذكرنا منهم ما نعرفه عنهم، لم نجد نبياً واحداً حكم على أمه بأنها كافرة.

وأمهات الأنبياء، من أبينا آدم عليه السلام، لم يحكم أحد من الناس بأنّ أياً منهم مبعدة عن رحمة الله.

وكذلك الحال من آدم إلى نوح، في شجرة الأنبياء الباسقة، أخبر ابن عباس عنهم أنه لا يوجد واحداً منهم قد انحدر من أم أو أب يميلان إلى شيء من الشرك.

حكى الكرماني عن ابن عباس قال: «لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليه السلام»[١].

وهذا الأثر أخرجه ابن سعد عن ابن عباس قال: «ما بين نوح إلى آدم كانوا على الإسلام»[٢].

وأنت خبير أنّ نوحاً عليه السلام استغفر لأبويه، ولم يمنع من ذلك بنص القرآن نفسه، حيث حكى عنه قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٣].

وإسحاق بن إبراهيم وأمه سارة عليهم السلام، وهي من هي في منازل الشرف والرفعة، وكذلك أم إسماعيل هاجر عليه السلام فقد بلغت شهرتها في وسط المتدينين مبلغاً لا يكابر فيه مكابر.

ولقد حكى العلماء عن أم يعقوب وأمهات آبائه بأنّ الآثار قد وردت بأنهن مؤمنات.

وأما أم موسى وهارون عليهما السلام فإنها ذكرت في القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ . . .﴾[٤].

---

(١) تفسير القرطبي: ج١٨ ص٣١٤.
(٢) الطبقات الكبرى: ج١ ص٤٢، وتاريخ الطبري: ج١ ص١١٨، والبداية والنهاية: ج١ ص١٠١.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٧.

وقد ثبت أيضاً صحة إيمان أمهات داود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وشمويل، وشمعون، وذي الكفل عليهم السلام.

وأما مريم بنت عمران عليها السلام فقصتها في القرآن مدونة، حيث إنّ آيات القرآن قد خلعت عليها من الأوصاف ما لا يستطيع أحد أن ينكر بعضها فهي البتول التي اصطفاها ربها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وهي التي أمرها ربها أن تقنت له وتتبتل وتركع مع الراكعين، وهي التي انتدبت منذ أول أمرها للعمل في معبد ربها، وهي التي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.

ولذا ذهب أبو الحسن الأشعري وابن حزم الظاهري وغيرهما إلى نبوة مريم عليها السلام، واختلفوا فيما بينهم في نبوة غيرها من النساء الوارد ذكرهنّ في القرآن كحواء وسارة وهاجر وأمّ موسى وآسية امرأة فرعون(١).

وليس من مهماتنا الآن البحث في أن تكون النبوة في النساء، وإنّما قد عرضنا لهذا الرأي إجمالاً لنبين أنّ قضية أمهات الأنبياء لم يتوقف طرحها عند حد إيمانهن، وإنّما ارتقى بهذا الطرح بعض

(١) فتح الباري: ج٦ ص٤٤٧ - ٤٤٨ وص٤٧٣، ولوامع الأنوار البهية: ج٢ ص٢٢٦.

العلماء متجاوزاً حد الإيمان العادي إلى محاولة إدخالهن في دائرة الأنبياء.

وإذا كان هناك من الأنبياء من وردت النصوص بإيمان أمهاتهم فإنّ الإجماع قائم على أنّ باقي أمهات الأنبياء محكوم لهن بالإيمان حيث إنه الأصل المقبول، وليس له معارض من دليل صحيح أو غير صحيح.

وقد عرض السيوطي على وجه الإجمال في (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) فقال: «وأما الإجمال: فأخرج الحاكم في المستدرك، وصححه عنه ابن عباس قال: كان الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب ومحمد عليهم السلام بنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى فكفر به من كفر، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كنّ مؤمنات ولم يبعث بعد عيسى أحد في الأشهر، وأما العشرة: فقد ثبت إيمان أم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وذكر إيمان أم نوح وإبراهيم وبقي أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل.

والظاهر إيمانهن، فثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع وكان

السر في ذلك ما يرينه من النور لما ورد في الحديث وكذلك أمهات النبيين يرين»[١].

وإذا كان هذا هو حكم العقل، كما هو حكم القرآن الكريم والآثار وإجماع العلماء. فإنه يكون من باب الفصام أن تنفرد أم النبي ﷺ بحالة وحدها من دون أمهات الأنبياء، على غير دليل محقق يحكم به العقل أو يأتي به النص.

والصحيح الذي تقتضيه الأدلة، والذي يقضي به المنطق السليم أنّ زهرة قريش آمنة بنت وهب عليها السلام لا تختلف كثيراً ولا قليلاً عن أمهات الأنبياء السابقات عليها إن لم تتفوق عليهن، باعتبارها أماً لأعظم إنسان في دنيا التاريخ، وآخر نبي يشهده الوجود في صرح الأنبياء.

نعم، إنّ هذه السيدة الطاهرة، والتي نتلمس ملامحها العطرة من خلال صورة ابنها النبي العظيم الذي آوته أحشاؤها، وغذاه

---

(١) مسند أحمد: ج٢ ص٣٤٠ ح١٤٥٥، والمستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٤٥٣ ح٣٥٦٦ وقال: حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، والمعجم الكبير: ج١٨ ص٢٥٢، وشعب الإيمان للبيهقي: ج٢ ص١٣٤، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد: ج٨ ص٢٢٣ لأحمد، والطبراني، والزار، وقال: وأحد أسانيد أحمد رجاله الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان.

دمها، واتصلت حياته بحياتها، فقد كان سيدنا محمد ﷺ هو الأثر الجليل الذي خلفته سيدتنا آمنة بنت وهب.

فهي «زهرة قريش» وزهرة بني زهرة ابنة الفخار من بني زهرة، وأفضل فتاة في قريش نسباً وموضعاً، والمحشومة المحجوبة عن عيون البشر حتى إنّ الرواة كانوا لا يعرفون ملامحها لعفتها، فكانت حديث قريش في المحامد والفضائل.

قال الماوردي: «لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخير خلقه، لما كلفهم من القيام بحقه، استخلصهم من أكرم العناصر وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح ولتكون النفوس لهم أوطأ والقلوب لهم أصغى، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ولأوامرهم أطوع»(١).

وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

وحينما سئل الرسول ﷺ عن نفسه، أو بدء أمره، أجاب: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي

(١) أعلام النبوة: ص١٦٦ - ١٦٧.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٦.

كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام»[١].

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين»[٢].

وروى الترمذي ومسلم، واللفظ له، عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[٣].

---

(١) مسند أحمد: ج٤ ص١٢٧ وج٥ ص٢٦٢ ح٢٢٣١٥، وتفسير ابن كثير: ج١ ص١٨٦ وج٤ ص٣٦٠. قال ابن كثير: «وهذا إسناده جيد»، وصحيح ابن حبان: ج١٤ ص٣١٣ ح٦٤٠٤، والمستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٤٥٣ ح٣٥٦٦، والمعجم الكبير: ج١٨ ص٢٨٢ ح٦٢٩.

(٢) مسند الإمام أحمد: ج٤ ص١٢٧ - ١٢٨، والمستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٦٥٦ ح٤١٧٥، وصحيح ابن حبان: ج١٤ ص٣١٣ ح٦٤٠٤، والمعجم الكبير: ج١٨ ص٢٥٣ ح٦٣١، وشعب الإيمان: ج٢ ص١٣٤ ح١٣٨٥.

(٣) صحيح مسلم: ج٤ ص١٧٨٢ ح٢٢٧٦، وصحيح ابن حبان: ج١٤ ص٢٤٢ ح٦٣٣٣، وسنن الترمذي: ج٥ ص٥٨٣ ح٣٦٠٦.

وقال العباس بن عبد المطلب: قلت: يا رسول الله إنّ قريشاً جلسوا فتذكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال النبي ﷺ: «إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم؛ من خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»[١].

وعقد العلامة السيوطي باباً لذلك في كتابه (الخصائص الكبرى)[٢] وقال ما لفظه: أخرج ابن سعيد، وابن عساكر، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح».

وأخرج الطبراني، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام».

وأخرج ابن سعد، وابن عساكر، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح غير سفاح».

---

(١) مسند البزار: ج٤ ص١٤٠ ح١٣١٦، وفضل الصحابة لابن حنبل: ج٢ ص٩٣٧ ح١٨٠٣.
(٢) الخصائص الكبرى: ج١ ص٣٧.

وأخرجه ابن سعد، وابن أبي شيبة، في المصنف، عن محمد بن علي بن الحسين: أنّ النبي ﷺ قال: «إنما خرجت من نكاح: ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ولم أخرج إلا من طهرة».

وأخرج أبو نعيم، من طريق عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يلتق أبواي قط على سفاح. لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى، مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وأخرجه البزار، والطبراني، وأبو نعيم، من طريق عكرمة، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1] قال: ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه»[2].

وقال العلامة زيني دحلان رحمه الله مفتي ديار مكة المكرمة: «وقال بعض العارفين: ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى، وآدم عليه السلام كالقبلة، وتلك القبلة المقصد الأعظم منها إنّما هو النور المحمدي، الذي في

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.
(٢) وراجع أيضاً: كنز العمال: ج٦ للمتقي الهندي طبع حيدر آباد دكن، والطبقات الكبرى: ج١ القسم الأول ص٣١.

جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور إليها . . ثم لما وضعته عليها السلام ظهر ذلك النور في جبهته وكان هو وصي آدم عليه السلام على ذريته، وأوصاه آدم: أن لا يضع ذلك النور إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم، تنتقل من قرن إلى قرن، إلى أن وصل ذلك النور إلى جده عبد المطلب، ثم إلى ابنه عبد الله، ثم إلى أمه آمنة، وطهر الله تعالى هذا النسب من سفاح الجاهلية»[١] . .

وقال أيضاً: «وقد صح في أحاديث كثيرة: أنه ﷺ، قال: لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطيبات، وفي رواية: لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة. . . (إلى أن قال) قوله ﷺ: من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، ودليل على أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأنّ الكافر لا يوصف بأنه طاهر»[٢].

وقال أيضاً، بعد نقل الرواية: «فالكافر لا يوصف بأنه طاهر، ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر»[٣].

---

(١) سيرة زيني دحلان، بهامش السيرة الحلبية: ج١ ص٨.
(٢) المصدر السابق: ج١ ص٣٣.
(٣) المصدر السابق: ج١ ص٥٩.

وقال أيضاً: في صفحة (٦٢): «وقال الفخر الرازي في تفسيره: «إنّ أبوي النبي ﷺ كانا على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، كما كان زيد بن عمرو بن نفيل، وأضرابه. بل إنّ آباء الأنبياء كلهم ما كانوا كفاراً، تشريفاً لمقام النبوة، وكذلك أمهاتهم، وإنّ آزر لم يكن أباً لإبراهيم، بل كان عمه، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1]، مع قوله ﷺ: «لم أُزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]، فوجب أن لا يكون أحد أجداده مشركاً، وأنّ لفظ الأب قد يطلق على العم، كما قال أبناء يعقوب له: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[3] فسموا إسماعيل: أباً له مع أنه كان عماً له»[4].

وزاد زيني دحلان قوله: «وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون، منهم العلامة السنوسي، والتلمساني محشي الشفاء، فقالا: لم يتقدم لوالديه ﷺ شرك، وكانا مسلمين، لأنه عليه الصلاة والسلام انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ولا يكون ذلك

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.
(٤) راجع: التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٤ ص١٧٥.

إلا مع الإيمان بالله تعالى. . . وقد أيد جلال الدين السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة، وألف في ذلك رسائل، فجزاه الله خيراً، وشكر سعيه. . (انتهى كلام زيني دحلان)[١].

وعنه ﷺ قال: «إنّ الله إذا أراد أن يبعث نبياً نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة فبعث خيرها رجلاً»[٢].

وهذا التخيير وهذا التفضيل ليس مختصاً بنسبه ﷺ من جهة الرجال الذين ليس لهم امرأة إلى آدم، بل إنّ الأمر أعم من ذلك، فيدخل فيه أيضاً أمهاته إذ إنّ الله قد تخيّر له الأمهات من خير القبائل وخير البيوت فما افترق الناس فرقتين إلا وكان آباؤه وأمهاته في خير الفريقين وإن تفاضلت الأمهات بعضهن على بعض، ولقد قال أقوام إنّ جميع آبائه ﷺ لا يوجد بينهم كافر لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[٣] وغير ذلك من أدلتهم السالفة الذكر.

قال الماوردي: «أما طهارة مولده فإنّ الله تعالى استخلص رسوله من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة»[٤].

---

(١) سيرة زيني دحلان، بهامش السيرة الحلبية: ج١ ص٦٢.
(٢) طبقات ابن سعد: ج١ ص٢٢.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٩.
(٤) أعلام النبوة: ص١٨٦.

وقال الماوردي: «وإذا اختبرت حال نسبه ﷺ، وعرفت طهارة مولده، علمت أنه سلالة آباء كرام. ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة، قادة. وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة»(١).

ولقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»(٢).

وقال كذلك: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(٣).

ومن أجَلِّ مظاهر محبة رسول الله ﷺ الدفاع عنه وعدم أذيته في أبويه؛ لأنَّ في أذيتهم أذية له ﷺ، وفي أذيته أذية لله سبحانه وتعالى.

ومما يؤذي رسول الله ﷺ ويمس من شرف نبوته وشرف نسبه القول بدخول أبويه الشريفين جهنم والعياذ بالله قال تعالى:

---

(١) أعلام النبوة: ص١٨٦، والسيرة الحلبية: ج١ ص٢٨، وهامشها لزيني دحلان: ج١ ص١٢.
(٢) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٣٨٤ ح٦١٣٧.
(٣) صحيح مسلم: ج١ ص٦٧ ح٤٤، وصحيح البخاري: ج١ ص١٤ ح١٤.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1]، ويزيده بشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبيده. وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله. إنّما هذا التعبير يصور الحساسية بإيذاء رسوله، وكأنّما هو إيذاء لذاته جل وعلا.

وكان القاضي أبو بكر بن العربي يلعن من يقول بدخول آباء النبي ﷺ في النار فقد أورد العلامة السيوطي ما هذا نصه: «نقلت من مجموع بخطّ الشيخ كمال الدين الشمني، والد شيخنا الإمام تقي الدين رحمه الله ما نصّه: سُئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال: إنّ آباء النبي ﷺ في النار، فأجاب بأنّه ملعون؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار»[2].

وقال أيضاً في رده على السخاوي: «... إنّه تكلّم في حق والدي المصطفى بما لا يحلّ لمسلم ذكره، ولا يسوغ أن يجزم عليه فكره، فوجب علَيّ أن أقوم عليه بالإنكار، وأن أستعمل في تنزيه هذا المقام الشريف الأقلام والأفكار، فألّفت في ذلك ست

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٢) الدرج المنيفة في الآباء الشريفة (ضمن الرسائل العشر): ص٤٢.

مؤلفات شحنتها بالفوائد وهي في الحقيقة أبكار، ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر عَليّ قيامي في ذلك، أو يلقي نفسه في هذه المهالك، من أنكر ذلك أكاد أقول بكفره وأستغرق العمر في هجره».

وكذلك اعترض ابن حجر العسقلاني على قول أبي حيّان الأندلسي بانحصار القول بإيمان آباء النبي بالشيعة الإمامية قائلاً: «وقول أبي حيان: إنّ الرافضة هم القائلون بأنّ آباء النبي ﷺ مؤمنون غير معذَّبين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾. فلك ردّه: بأنّ مثل أبي حيّان إنّما يرجع إليه في علم النحو وما يتعلق بذلك، وأمّا المسائل الأصوليّة فهو عنها بمعزل، كيف والأشاعرة ومن ذكر معهم - فيما مر آنفاً - على أنهم مؤمنون، فنسبة ذلك للرافضة وحدهم - مع أن هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنّة قائلون به - قصور وأيّ قصور، تساهل وأيّ تساهل»[1].

وقال: «هذا الحصر باطل منك، أيها النحوي البعيد عن مدارك الأصول والفروع. كيف؟ وأئمة الأشاعرة من الشافعيّة وغيرهم - على ما مرّ التصريح به - في نجاة سائر آبائه ﷺ كبقية أهل الفترة، فلو كنت ذا إلمام بذلك لما حصرت نقل ذلك عن

(١) المنح المكيّة: ص٢٧.

الرافضة وزعمت أنهم المستدلّون عليه بالآية والحديث. وهذا الفخر الرازي من أكابر أئمة أهل السنّة قد استدل بهما ونقل ذلك عن غيره. . . ».

ونحن نسأل مثيري الفتن:

ما الفائدة من طرح هذه المسألة أو التكلم فيها أصلاً، إضافة لما فيها من خطر إفساد عقيدة الناس وإثارة الاختلاف في صفوف المسلمين؟!

ولكن القائلين بعذاب أبوي النبي ﷺ لا يلتفتون إلى عمق الاستدلال على عنوان إسلامي فهم بحاجة إلى تقصي الأدلة بشكل جيد بدلاً من التسرع في الحكم وحتى لا يكونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

أدلة المروجين لفكرة شرك أبوي الرسول

إنّ عمدة هذه الجرأة والإثارة يكمن في حديثين وهما:

١ - حديث مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: أنّ رسول الله ﷺ قال: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»[١].

٢ - ما رواه مسلم أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار. فلما قضى دعاه فقال: «إنّ أبي وأباك في النار»[٢].

(١) صحيح مسلم: ج٢ ص٦٧١ ح٩٧٦.

(٢) صحيح مسلم: ج١ ص١٩١ ح٢٠٣، وسنن أبي داود: ج٤ ص٢٣٠ ح٤٧١٨، ومسند أحمد: ج٣ ص١١٩ ح١٢٢١٣ وص٢٦٨ ح١٣٨٦١.

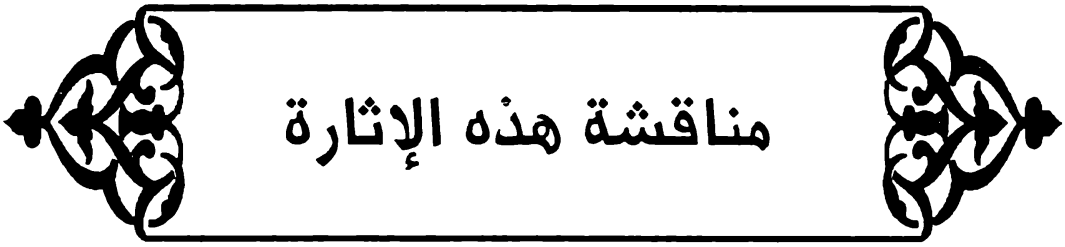

مناقشة هذه الإثارة

تدور هذه المناقشة حول جهات ثلاث:

- معارضة الحديثين لظاهر القرآن.
- ومخالفة الأدلة للمنحى الأصولي.
- ونقد حديثي الشرك وعللهما.

الجهة الأولى: معارضة الحديثين لظاهر القرآن:

المتأمل في هذين الحديثين يستطيع أن يتبين علتهما، وذلك لمعارضتهما لصريح القرآن الكريم، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[2].

والقوم الذين بُعث فيهم الرسول الأكرم ﷺ، والذين منهم

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣١.

أبواه، لم يأتهم نذير قبله لصريح ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٢].

فمعارضة هذين الحديثين، المخالفين لفظاً ومعنىً، لصريح القرآن الذي هو قطعي الثبوت مع عدم إمكانية الجمع بينهما أسقط الاحتجاج بهما، وتمسكنا بالقرآن كما هو مقرر بحسب قواعد الشريعة.

يقول الإمام النووي: «ومتى خالف خبر الآحاد نص القرآن أو إجماعاً وجب ترك ظاهره»[٣].

وقال إمام الحرمين الجويني: ذهبت الحشوية، من الحنابلة وكتبة الحديث، إلى أنّ خبر الواحد العدل يوجب العلم، وهذا خزي لا يخفى مدركه على ذي لب، فنقول لهؤلاء: أتجوزون أن يزل العدل الذي وصفتموه ويخطىء؟ فإن قالوا: لا؛ كان بهتاً وهتكاً وخرقاً لحجاب الهيبة، ولا حاجة إلى مزيد البيان فيه»[٤].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٤.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٣.
(٣) المجموع في شرح المهذب: ج٤ ص٣٤٢.
(٤) البرهان: ج١ ص٦٠٦.

وقال السمرقندي الحنفي: «ومنها - أي شروط الخبر الآحاد - : أن يكون موافقاً لكتاب الله تعالى والسنة المتواترة والإجماع، فأما إذا خالف واحداً من هذه الأصول القاطعة فإنه يجب رده أو تأويله على وجه يجمع بينهما. . . ولأنّ خبر الواحد يحتمل الصدق والكذب والسهو والغلط، والكتاب دليل قاطع فلا يقبل المحتمل بمعارضة القاطع بل يخرج على موافقة بنوع تأويل. ومنها: أن يرد الخبر في باب العمل فإذا ورد الخبر في باب الاعتقادات - وهي مسائل الكلام - فإنه لا يكون حجة لأنه يوجب الظن وعلم غالب الرأي لا علماً قطعياً فلا يكون حجة فيما يبتني على العلم القطعي والاعتقاد حقيقة»[١].

والقاعدة عند علماء أهل السنة وبقية المذاهب الإسلامية: أنّ خبر الآحاد متى عارض الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع المعتبر لفظاً ومعنى مع عدم إمكانية الجمع بحال سقط الاستدلال به.

إضافة إلى أنّهم اتفقوا على العمل به في الأمور الشرعية دون العقائد، حيث إنّ مسائل العقائد مبنية على القطعيات التي تفيد العلم اليقيني والتي يكفر منكرها، بخلاف الآحاد الذي لا يفيد إلا الظن[٢].

---

(١) ميزان الأصول: ج٢ ص٦٤٢ - ٦٤٣.

(٢) الورقات، للجويني: ص١٨٤، المستصفى، للغزالي: ج١ ص١٤٥، =

أهل الفترة[1] ناجون:

إنّ من العقيدة التي يجب على كل مؤمن أن يعتقدها ولا يجوز له جهلها فضلاً عن إنكارها هي أنّ أهل الفترة ناجون، وإن بدلوا وغيروا، بدليل النصوص القرآنية القطعية السابقة الذكر وأبوا النبي ﷺ من أهل الفترة بلا خلاف بين العلماء.

فإنّ العقل السليم قاض في كل العصور بأنه لا جريمة إلا بنص، ولا عقوبة إلا بمخالفة لهذا النص، والمكلّفون من الناس إما أن يكلّفوا بمعرفة الله عزّ وجل، وإما أن يكلفوا بما يطالبهم الله بفعله، أو بما ينهاهم الله عنه، وقصارى القول في مسألة معرفة وجود الله أنّ العقل قادر بنفسه على إدراك هذا الوجود، ومع التسليم بأنّ العقل قادر على إدراك وجود الله، فإنه تبقى عندنا قضية هامة، وهي تكليف هذا العقل بالقيام بهذه المهمة التي يستطيعها،

= واللمع، لأبي إسحاق الشيرازي: ص٧٢، وأصول السرخسي: ص٣١٣، والفصول في الأصول، للجصاص: ج٣ ص٩٣.

(١) أهل الفترة: وهو اصطلاح يستعمل في الفقه الإسلامي للدلالة على أولئك الذين عاشوا بين رسالتي المسيح والرسول الكريم عليهما السلام، ولم يتسن لهم أن يتبعوا أحداً من الأنبياء الكرام، وفي هذه الحالة فإنّ جمهور الفقهاء كانوا لا يرون أنّ هؤلاء من أهل التكليف نظراً لغياب الرسالات عنهم، ولا يصح مطالبة هؤلاء بالتزام أحكام الشريعة ويُسمَون أهل فترة.

لأنّ هذا التكليف نفسه هو الذي سيتوقف عليه الثواب والعقاب، فليس كل قادر على شيء يكون مكلفاً بأدائه، من غير أن يكون هناك تكليف يحمله على ذلك بمقتضى نص ملزم، وعلى هذا فإنّ العقل القادر على أن يقيم الدليل لنفسه الذي يتوصل به إلى معرفة أنّ الله موجود، لا يكون في موضع المساءلة ما لم يكن هناك نص معتمد قطعي الثبوت والأدلة حمله على القيام بهذه المهمة.

وإذا وضح هذا الأمر هنا، فإنّ المسألة فيما يتعلق بمعرفة الله على التفصيل، وما يتصل به من أحكام وأسماء وصفات، وما يختص به من حق التشريع الدائر على مطلوبات الله من أمر ونهي، إلى غير ذلك من تفصيلات لها اتصال بكليات وجزئيات ليس للعقل قدرة على أن يستقل بإدراكها.

أقول: إن المسألة حين تتعلق بإخبار الله عن نفسه، أو إخباره عما يريده من العباد مما تتضمنه الأوامر والنواهي تكون قد خرجت عن نطاق العقل وقدرته عن أن يدركها بالاستقلال، أو يفهمها بغير توجيه وتشريع، والمسألة عند هذا الحد تكون واضحة الدلالة على أنّ كل من لم تبلغه الدعوة وكل من كان وجوده بين نبيين، نبي قد مضى وشوهت رسالته، ونبي لم يأت بعد حتى يعلمنا ما الذي يريده الله منا، وأمثالهما من الصبيان الذين ماتوا قبل التكليف، أو المجانين الذين لا يملكون جوهرة العقل التي هي أساس التكليف.

إنّ هؤلاء جميعاً إذا مات الواحد منهم على حالته، يكون معذوراً غير مسؤول عن العقيدة والشريعة اللتين يُسأل عنهما غيره ممن لا يكونون على مثل حاله.

هذا حكم العقل المقطوع به. وحكم العقل المقطوع به هنا تؤازره مجموعة من النصوص الشرعية الواردة عن الله عَزَّوَجَلَّ، والمقطوع بصحتها ودلالتها، والتي منها قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾[3].

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.
(٣) سورة الملك، الآيتان: ٨ - ٩.

كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[١].

وفي القرآن آيات كثيرة تدل بلفظها ومعناها على المقصود منها دلالة لا تحتمل التأويل أو الصرف عن ظاهرها.

وعلماء الأمة المعتمدون في العلم ذاهبون إلى ما ذهبت إليه هذه الآيات المعضدة لحكم العقل في هذه المسألة، قال القرطبي في تفسيره لآية سورة الإسراء - بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ -: «أي لم نترك الخلق سدى، بل أرسلنا الرسل. وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنّ العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر»[٢].

والجمهور على أنّ هذا في حكم دنيوي، أي إنّ الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار[٣].

وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٧.
(٢) تفسير القرطبي: ج١٠ ص٢٣١.
(٣) تفسير القرطبي: ج١٠ ص٢٣١.

﴿قَدْ جَآءَنَا﴾[١] قال ابن عطية: والذي يعطيه النظر أنّ بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة على الصانع مع سلامة الفطرة توجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله؛ ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار[٢].

وهذه آية أيضاً يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات الذين قدر وجودهم بعض أهل العلم.

وأما ما روي من أنّ الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال فحديث لم يصح، ولا يقضي ما تعطيه الشريعة من أنّ الآخرة ليست دار تكليف.

قال المهدوي: روي عن أبي هريرة أنّ الله عز وجل يبعث يوم القيامة رسولاً إلى أهل الفترة والأبكم والأخرس والأصم، فيطيعه منهم من كان يريد أن يطيعه في الدنيا؛ وتلا الآية؛ رواه معمر بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة ذكره النحاس، قلت هذا موقوف ولا يصح.

وقد استدل قوم في أنّ أهل الفترة إذا سمعوا بالإسلام وآمنوا

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ٨ - ٩.
(٢) تفسير القرطبي: ج١٠ ص٢٣١.

فلا تكليف عليهم فيما مضى، وهذا صحيح، ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل والله أعلم[١].

وليس القرطبي في هذا المجال نسيج وحده ولا هو الذي انفرد برأي ارتآه، ولكنه حكم العقل ومقتضى النص الذي لم يستطع أن يجافيه؛ لا هو ولا غيره من علماء الأمة، وإنّما أردت أن أرشدك إلى هؤلاء العلماء الذين ساروا مع القرطبي وتابعوه في منهجه؛ لأن مجرد الإشارة إلى بعض هؤلاء العلماء ظلم لإخوانهم الذين لم نتمكن من ذكر أسمائهم.

ولا شك أنّ بعض بني الإنسان في مواقف كثيرة، تضيق بهم دائرة الجد فلا يسمعهم إلا قضاء الهزل ينطلقون فيه بغير حدود، فهم يقولون هنا مثلاً: إنّ أهل الفترة ومن شابهم من الصبيان والمجانين؛ ومن لم تبلغهم الدعوة يعذبون في نار جهنم ولا عذر لهم بشيء من أحوالهم.

فلا عذر لأهل الفترة أنهم لم يأتهم من نذير، ولا عذر للمجانين في أنهم فقدوا العقل الذي هو أساس التكليف، ولا عذر لأهل الجزر النائية أو البوادي البعيدة؛ أو الأدغال المعزولة في أنهم لم تبلغهم الدعوة.

---

(١) تفسير القرطبي: ج١٠ ص٢٣٢.

ماذا قلت لواحد منهم: ما حكم الإنسان يأتي بين يدي النبي، فيدعوه إلى الإسلام ويسلم، هل يحاسبه الله ﷻ على ما مضى من عمره مكلّفاً قبل أن يدخل في الإسلام؟!

ولو سألته عن حقيقة ما قاله النبي ﷺ: «الإسلام يجبّ ما قبله»(١)؟.

وإذا سألت الواحد منهم عن حقيقة ما جاء في القرآن عقب بعض الأحكام التشريعية وحكمه عام في سائرها من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾(٣)؟

لوجدته في كل ذلك وقف أمامك ساكناً لا يحير جواباً، وقد يجمع بين يديه ويضعها على فمه وعينيه حتى لا تقرأ في عينيه ملامح الخجل.

إننا لا بد أن نعلم أن الحق الأبلج لا ينال منه سلطان الباطل

---

(١) راجع: فتح الباري: ج٧ ص١٩٦، وشرح الزرقاني: ج٢ ص١١٨، وفيض القدير: ج١ ص٢٨٠، والاحكام للآمدي: ج١ ص١٩٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٢٣.

الأجوف مهما حاول مصطنعه أن يظهر بمظهر الجد، أو يتلاعب بمصطلحات العلم. ويبقى في النهاية للنص القرآني سلطانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

إذا تقرر هذا فتقول:

إن آمنة بنت وهب لم تشهد بعثة النبي قطعاً؛ ولم يكن في زمانها دين صحيح لم يدخله التحريف بيقين، وهي بالإضافة إلى ذلك لم يثبت أنها كانت تسجد لصنم، وإنما كانت كسائر أفراد قومها تعرف أنّ للبيت الحرام رباً يخالف ما تراه أو تسمع به من الأصنام من نحو: هبل واللات؛ والعزى؛ ومناة؛ فلو أضفنا إلى ذلك أنها منذ حداثة سنها كانت مشغولة بما شغل فيه فتيات مكة ونساؤها بما تردد في أصداء مكة وجزيرة العرب على العموم من أنّ هناك نبياً قد استظل زمانه، وأصبح ظهوره وشيكاً، وأنّ أمه ستكون من بني زهرة، لو أنا أدركنا هذه الأمور جميعها وكثيراً غيرها لعلمنا:

أولاً: أنّ السيدة آمنة عليها السلام لم تكن مشركة.

وثانياً: أن آمنة عليها السلام لم يكن في زمانها دين صحيح على الأرض خال من التحريف والعبث بنصوصه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

وثالثاً: أنّ سنها الصغيرة لم تكن تمكنها من البحث عن الأديان وفحصها كما فعل الشكاك في زمانها من نحو: زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الأيادي وورقة بن نوفل؛ مع العلم أنها ليست مكلفة بذلك ولا هؤلاء الرجال من الشكاك والمتحنفين قد رجعوا من بحثهم بطائل.

ورابعاً: أنّ آمنة بنت وهب بحكم أنها من بني زهرة كان يستهويها ما يستهوي الكثيرات، وتخضع مثلهن لرغبة جامحة في أن تكون أماً للنبي المنتظر.

وأمور كهذه في آمنة بنت وهب لكفيلة بأن تجعل أصحاب العقول يجزمون بأنّ آمنة هي من أهل الفترة، بل هي من المؤمنات الموحدات، ولا خوف عليها ولا على مستقبلها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقد يبقى هنا أن نقول تصريحاً لما سبق أن ذكرناه بالتلميح، أنّ بعض الناس يعترضون فيقولون: إنّ أهل الفترة محاسبون يوم القيامة على أساس ما جاءهم من الرسل السابقين عليهم، وأهل مكة وجزيرة العرب فيما قبل رسول الله ﷺ كانوا قد سمعوا بموسى وعيسى ابن مريم، فهم مكلفون بمقتضى هاتين الرسالتين وغيرهما.

ودلت الأدلة على أنّ عرب الجاهلية لم يكونوا مخاطبين بها، ولا مكلّفين باتباعها، ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في «الفترة» صريحة، ولم يعود على ذلك.

ولو كان المراد بما قبل البعثة: أن لا يكون بعث رسول الله في الدنيا أصلاً لاستحال وجود ذلك إذ ما من فترة إلا قبلها نبي إلى آدم وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر.

والقرآن أيضاً ناطق بذلك قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾[1].

أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر أبو الشيخ عن مجاهد في قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ قال اليهود والنصارى: خاف أن تقوله قريش[2].

ولعلنا ننتهي من هذه القضية كلها مع القوم إلى آخر ما وقفوا عنده، وهو ما ذكره المفسرون عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ج٢ ص١٩٣ وج٣ ص٣٩٣، وفتح الباري: ج٦ ص٢٦٠.

بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۙ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[١] وهذه الآية لا تفيد من لا يقولون بنجاة أم النبي آمنة بنت وهب شيئاً؛ ذلك أن الجمهور يقرأون هذه الآية بضم التاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾[٢] ولا تسأل على أن الفعل مبني للمجهول.

والمعنى على قراءة الجمهور أنّ الله أراد أن يخبر النبي أولاً والأمة على وجه العموم بأنه لا مسؤولية للنبي ﷺ تلزمه مترتبة على إعراض المعرضين، ذلك أنّ الله قد أرسل النبي مبشراً ونذيراً، فمن أطاع فلنفسه ومن أعرض فعليها، وهو لا يسأل عن أصحاب الجحيم.

والقراءة على هذا النحو واضحة الدلالة ليس فيها ما يستوقف النظر ويستوجب الفكر خارج نطاق النظرة الأخلاقية.

وقد ورد عند الأقلين قراءة: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) بفتح التاء.

وهذه القراءة على هذا النحو فيها أنّ الله عزّ وجل قد نهى النبي ﷺ عن أن يسأل عن أصحاب الجحيم.

والقراءة بهذا الشكل تثير سؤالاً في النفس مؤاده: أن يكون

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٩.
(٢) المصدر السابق نفسه.

النبي ﷺ قد سأل عن بعض الناس الذين تراءى له أنهم في الجحيم.

وهنا يتطوع البعض، فيقدم لنا نماذج من مواقف يرونها تؤيد رأيهم في أنّ أبوي النبي في النار.

ومما ذكروه:

ما جاء في تفسير ابن كثير: «قال عبد الرازق: أخبرنا الثوري، عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري ما فعل أبواي، ليت شعري ما فعل أبواي، ليت شعري ما فعل أبواي؟!» فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله عزوجل. ورواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن وكيع، عن موسى بن عبيدة - وقد تكلموا فيه -، عن محمد بن كعب بمثله»[1].

وهذه الآثار لا تصح في نفسها، ولا يقوى سندها أن يبلغ بها إلى رسول الله ﷺ.

كما أنها من جهة أخرى لا تقوى على حملنا على أن نفهم هذه الآية على نحو ما قُرئت عند الأقلين، كما يريدون لنا أن نفهمها، خاصة وأنّ القراءة بالضم - وهي قراءة الأكثرين تبين لنا أنّ الآية

(١) تفسير ابن كثير: ج١ ص١٦٣.

قد جاءت في سياقها الأخلاقي لتبين أنّ المسؤولية الخاصة بانحراف البعض عن رسالة النبي ﷺ بعد مجيئها إليهم إنّما تقع على عاتق أصحابها.

وعلى فرض أننا سنحاول فهم الآية على أنها نهي للنبي ﷺ عن أن يسأل عن أصحاب الجحيم في إطار انشغاله على أبويه (على فرض صحة الأثر) فإنه يمكن أن تُفهم الآية على هذا النحو: ما لأبويك وأصحاب الجحيم، إنك إن سألت عنهما فإنه لا يجوز أن يخطر ببالك أنّهما من أصحاب الجحيم، فقد نجّاهما الله عزوجل كما نجّى أهل الفترة، وأنه قد رفع مكانتهما من أجلك حتى أصبحا في مكانة لم تكن لتخطر لك على بال، من باب ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١).

وللشيخ محمد بن يوسف الصالحي في شأن هذا الحديث كلام جميل حيث يقول:

«... رواه ابن جرير وغيره عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، وسنده ضعيف لا تقوم به حجة».

وروي أيضاً عن داود بن أبي عاصم نحوه وهو معضل وسنده ضعيف لا تقوم به حجة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

ثم إنّ هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أنّ الآيات من قبل هذه الآيات ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[1]، إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾[2]، واختتمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآيتين فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر.

روى عبد بن حميد والفريابي، عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل.

ومما يؤيد ذلك أن السورة مدنية وأكثر ما خوطب فيها اليهود، ويرشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار، روى ابن جرير عن مالك في الآية قال: الجحيم اسم لما عظم من النار.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وروى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾[١] قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

قال: والجحيم فيها أبو جهل.

إسناده صحيح.

فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة، وبدل وحرف وجحد بعد علم، لا من هو بمظنة التخفيف.

وإذا كان قد صح في أبي طالب[٢] أنه أهون أهل النار عذاباً لقرابته منه ﷺ وبره به، مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً وآكد منه حبًّا، وأبسط عذراً وأقصر منه عمراً؟ فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق»[٣].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

(٢) ذهبت الشيعة الإمامية وكذلك الزيدية وبعض أهل السنة إلى إيمان أبي طالب.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي: ج٢ ص١٢٤ - ١٢٥.

وللقرطبي فهم في الآية السابقة على هذه القراءة، قريب من هذا الفهم الذي قلناه قال: «وهذا كما لا تسأل عن فلان أي قد بلغ فوق ما تحسب»[١].

ويوجد في مسند الإمام أحمد هذا النص: حدثني أبي بالسند عن وكيع بن حدس، عن أبي رزين عمه قال: قلت يا رسول الله: أين أمي؟ قال: أمك في النار. قال: قلت فأين من مضى من أهلك، قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمي[٢].

ولم يكن من بدّ لنا من أن نتناول هذه الرواية بكلمة تخصها؛ لما لها من أهمية هنا، وفي مجال الحديث عن السيدة آمنة أم الرسول ﷺ بالذات.

والناظر لأول وهلة في هذا الحديث سيتفق معي بأنه غير موجود في الكتب الستة، فهو ليس عند البخاري ولا مسلم، كما أنه لا يوجد عند أبي داود النسائي أو الترمذي أو ابن ماجة.

ولم أجده إلا في مسند الإمام أحمد، وهو من الكتب التي لا يلتزم أصحابها الصحة في مروياتهم، ومن المقطوع به أنّ الأمة لم تتلق مرويات هذا المسند كلها بالقبول، ولنفترض أنّ هذا الحديث

---

(١) تفسير القرطبي: ج١ ص٩٣.
(٢) مسند أحمد: ج٤ ص١١.

صحيح، فإنّ هذه الصحة المفترضة إنّما هي صحة الإسناد. وصحة الإسناد لا تستلزم صحة المتن قطعاً، حتى ولو كان الإسناد في أعلى درجات الصحة، ولذا فإن علماء السنة قد نصوا على أنّ البخاري ومسلم حين التزما في مروياتهما التزموها في الإسناد ومقاصد الكتاب الذي وضعه كل منهما.

أما صحة المتن عند البخاري ومسلم فله طريق آخر، وهو أنّ الأمة قد تلقت مروياتهما بالقبول على مر العصور.

هذا هو حال الحكم بالصحة على أحاديث البخاري ومسلم.

أما في غير البخاري ومسلم فإنّ الحكم بالصحة راجع للعلماء الذين عهدت إليهم الأمة لتميزهم في تخصصهم أن يقوموا بهذه المهمة.

وقد اختط العلماء لأنفسهم طريقين للحكم على الحديث بالصحة أو غيره:

أحدهما: طريق الإسناد والحكم على الرجال.

وثانيهما: طريق المتن وفحصه على قواعد فحص المتون.

وبعد هذا البيان الذي سبقت الإشارة إليه نقول:

إنّ هذا الحديث على فرض صحة إسناده، يخالف القرآن ويخالف العقل جميعاً.

أما مخالفته للعقل فهو واضح لا شبهة به، إذ إننا عملاً بمقتضاه يلزم على ذلك أنّ الله يؤاخذ عباده على مخالفات لم يرد منه نص صحيح يأمرهم بتجنبها. وهذا تكليف بما لا يطاق قطعاً.

وأما مخالفة هذا الحديث للقرآن، فإن القرآن فيه آيات كثيرة يخالفها متن هذا الحديث مخالفة تامة، تأبى عن التأويل، وترتفع عن الجمع بينها وبين آيات القرآن.

وأزيدك هنا بياناً من آيات القرآن الكريم سوى ما ذكرت من قبل:

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾(١).

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾(٢).

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(٣).

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾(٤).

﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾(٥).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الدخان، الآية: ١٣.
(٥) سورة محمد، الآية: ٣٢.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾(١).

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾(٢).

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾(٣).

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾(٤).

﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٥).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾(٦).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾(٧).

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٨).

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾(٩).

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٨.
(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٠.
(٣) سورة المزمل، الآية: ١٦.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٦) سورة القصص، الآية: ٥٩.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٨) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٩) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾[١].

﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾[٢].

﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٞ﴾[٣].

﴿لِّتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٤].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾[٥].

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[٦].

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩﴾[٧].

فهذه آيات شريفة معبّرة عن المقصود، وكثير من نظائرها وأشباهها يوجد في كتاب الله الحكيم، والذي ذكرناه هنا لا يزيد

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٩.
(٤) سورة القصص، الآية: ٤٦.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٤٤.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الملك، الآيتان: ٨ - ٩.

على أن يكون أمثلة لبيان المقصود، وربما يكون ما تركناه منها أوضح في الدلالة على ما قصدناه مما ذكرناه.

ويتلخص مما ذكرنا: أنّ هذا الحديث لا يقوى على الاستدلال بوجوب مؤاخذة أم النبي ﷺ على مخالفة أمر لم تتمكن من معرفته، فقد توفيت وولدها النبي ﷺ في السادسة من عمره، ولو أنها قد أتيح لها أن تعيش إلى أن يصير نبياً في واقع التاريخ، لما كان هناك أسرع منها إلى تلبية دعوة ابنها، وإجابته إلى ما يدعو إليه من عبادة ربه.

وما قلنا في هذا الحديث هو نفسه الذي يجب أن يقال في حديث «أبي وأبوك في النار» السالف الذكر. . فهذا الحديث الذي ينص على أنّ أبا النبي في النار، وإن كان قد صح سنده على منهج المحدثين، فإنّ متنه مخالف مخالفة تامة للقرآن والعقل للأحاديث الصحيحة التي وردت في نجاة أهل الفترة ومن ماتوا قبل التكليف من الصبيان، ومن فقدوا نعمة العقل التي هي جوهرة الإنسان والتي هي الأصل الذي يقوم عليه كل تكليف.

يقول المفسر الشيخ محمد أمين الشنقيطي[1]:

---

(١) تفسير أضواء البيان: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥].

«ظاهر الآية الكريمة أن الله ﷻ لا يعذب أحداً من خلقه لا في الدنيا ولا في الآخرة، حتى يبعث إليه رسولاً ينذره ويحذره، فيعصي ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار.

وقد أوضح الله ﷻ هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، فصرح بأنه لا بد أن يقطع حجة كل أحد بإرسال الرسل مبشرين من أطاعهم بالجنة، ومنذرين من عصاهم بالنار.

وهذه الحجة بينتها عدة آيات كريمة:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٣) سورة القصص، الآية: ٤٧.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(٣).

إلى غير ذلك من الآيات.

ووضح مما دلت عليه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن الكريم من أنّ الله جل وعلا لا يعذب أحداً إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام تصريحه جل

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٩.
(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

وعلا في آيات كثيرة بأنه لم يدخل أحداً النار إلا بعد الإعذار والإنذار. . . فمن ذلك قوله جل وعلا: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾[1]، ومعلوم أن ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ يعم جميع الأفواج الملقين في النار. . . - إلى أن قال - «وهذه الآيات التي ذكرنا وأمثالها في القرآن العظيم تدل على عذر أهل الفترة بأنهم لم يأتهم نذير ولو ماتوا على الكفر»، انتهى كلامه.

فإذا كان أهل الفترة من أهل النجاة فكيف يمكن تصور حرمان والدي الرسول ﷺ من هذا الأمر؟!.

الجهة الثانية: المنحى الأصولي

يجب أن يعلم بأنّ المتفق عليه أنّ الفقيه لا يصل إلى الحكم الشرعي من دليل واحد غالباً، بل هو نتيجة تفاعل مجموعة من العلوم المشتركة من آيات قرآنية وأحاديث شرعية صحيحة وقواعد أصولية وحديثية ولغوية والتي لا غنى عنها لفهم معاني النصوص وإصدار الحكم الشرعي.

ومن القواعد التي لا بد منها لفهم هذين الحديثين على وفق ما

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ٨ - ٩.

اتفق عليه كبار أهل الحل والعقد من نقاد علماء أهل السنة والجماعة من حفاظ وأصوليين وغيرهم أنّ من أسباب رد الحديث:

١ - مخالفته لصريح القرآن لفظاً ومعنى مع عدم إمكانية تأويله ليوافق القرآن بلا تكلف.

٢ - مخالفته لصريح العقل السليم لأنّ أفعال الله تعالى لا تخلو من حكمة وإن كنا لا ندركها غالباً ولأنّ العقل شاهد من شواهد الشرع فالشرع لا يأتي إلا بمجوزات العقول.

٣ - أنه لا يستدل في العقائد إلا بالمتواتر أو المشهور خلافاً لأبي حنيفة الذي يرى أنه يجوز الاستدلال بخبر الآحاد في العقائد بشرط أن لا يكون له معارض من القرآن أو من السنة المتواترة أو المشهورة.

وما نحن فيه ليس من هذا القبيل لا عند الإمام أبي حنيفة، ولا عند غيره من باب الأولى لأنّ الظني لا يقوى على معارضة القطعي.

والقرآن قطعي الثبوت ويمثل له بهذه الآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1]. ويؤيد ذلك ما قاله الأصوليون من أنّ «ترك

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

الاستفصال يؤدي إلى تعلق الحكم في عموم المقال». وهذه الآية تدخل تحت هذه القاعدة. وهو يتطابق مع هذه الآية، أنّ كل من لم يأته رسول لا يعذب إلا ما خرج على غير قياس.

هذا في كيفية العمل إذا ما عارض الحديث القرآن، أما إذا ما عارض الحديث فكلامهم في هذا الباب كثير.

الجهة الثالثة: «نقد حديثي الشرك وعللهما»

الحديث الأول:

حديث «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي»[١].

وفي الحديث أنه ﷺ بكى وأبكى من حوله، فإنّ هذا الحديث لا يصح الاستدلال به على أنّ والدته ﷺ في النار لعدة أمور:

١ - أنّ هذا الحديث يعارض معارضة صريحة قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[٢].

---

(١) صحيح مسلم: ج٢ ص ٦٧١ ح ٩٧٦.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٤.

٢ - أنّ بكاءه ﷺ على أمه لا يدل على أنها من أهل النار بأي وجه من الوجوه بدليل أنه بكى على ابنه إبراهيم كما في الصحيحين إذ قال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»[١].

٣ - أنّ الله تعالى أذن له بزيارة قبرها ويدل على أنها مؤمنة وليست كافرة من أهل النار، وإلا لتعارض صدر الحديث مع عجزه، ناهيك أيضاً أنّ الله تعالى قد نهاه أن يقوم على قبور الكفار والمنافقين بقوله عزّ من قائل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٢] وحاشا مقام رسول الله ﷺ أن يخالف أمر الله تعالى ومن يظن ذلك فليس له نصيب من الإيمان في شيء.

الحديث الثاني:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، أنّ

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ص ١٨٠٧ ح ٢٣١٤، وصحيح البخاري: ج١ ص ٤٣٨، سنن أبي داود: ج٣ ص ١٩٣ ح ٣١٢٦، وسنن ابن ماجة: ج١ ص ٥٠٦ ح ١٥٨٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه فقال: «إنّ أبي وأباك في النار»[١].

وهذا الحديث عليه ملاحظات عامة تتصل بالسند، فالحديث من طريق «حماد بن سلمة».

و«حماد بن سلمة» لم يخرج له البخاري في صحيحه لرأيه فيه، ولم يجبره على ذلك لوم اللائمين بسبب عدوله عن حماد.

ومسلم بن الحجاج وإن كان فيما يظهر أنه تدارك الأمر وأخرج أحاديث حماد في صحيحه فإنّ معظم ما أخرجه لحماد كان في الشواهد ولم يعتمده في الأصول على ما يبدو إلا في نطاق محدود، ومع هذا كله فإنّ مسلم بن الحجاج قد تعرض للوم أحياناً بالنسبة للأحاديث التي انفرد بها عن البخاري.

قال جلال الدين السيوطي عن حماد بن سلمة: «إنّ حماد تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أنّ ربيبه دسّها في كتبه وكان حماد في آخر حياته لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً ولا خرَّج له مسلم في أصول الدين إلا

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص ١٩١ ح ٢٠٣، وسنن أبي داود: ج٤ ص ٢٣٠ ح ٤٧١٨، ومسند أحمد: ج ٣ ص ١١٩ ح ١٢٢١٣ وص ٢٦٨ ح ١٣٨٦١.

من رويته عن ثابت. قال الحاكم في المدخل: ما خرج مسلم لحماد إلا من حديثه عن ثابت»[١].

وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري: «حماد بن سلمة بن دينار البصري أحد الأئمة الأثبات إلا أنه ساء حفظه في الآخر»[٢].

و«حماد بن سلمة» لم يتكلم أحد فيه من حيث تدينه وصلاحه، وغيرته على دينه وسنة نبيه، ولكنه في آخر أيامه ربما يكن قد ساء حفظه، لكان يعتمد على التحديث من كتبه، ولقد زعم بعضهم بأنّ حماد كان له ربيب (ابن زوجته من غيره) قد عمد إلى بعض كتبه ودس فيها ما ليس منها.

وقد نصل عليه في كتب الرجال بأنه هو: «ابن أبي العوجاء»[٣]، ونظراً إلى أنّ حماد في آخر عمره قد ساء حفظه واعتمد على الكتاب

---

(١) مسالك الحنفا في نجاة والدي المصطفى، المطبوع مع الحاوي: ج٢ ص ٢٠٢.

(٢) فتح الباري: ج١ ص ٣٩٩، وانظر: تقريب التهذيب: ج١ ص ١٧٨ ت ١٤٩٩.

(٣) تهذيب التهذيب: ج٣ ص ١٣، وميزان الاعتدال: ج٢ ص ٣٦٣ ت ٢٢٥٤، والكامل في ضعفاء الرجال: ج٢ ص ٢٦٠ ت ٤٣١، تدريب الراوي: ج١ ص ٢٨٦.

يحدث منه، فإنه لم يكن ليكتشف ما دسه عليه ربيبه.

وأصحاب هذه المقولة في حماد يحاولون تأكيد ذلك بموقفي حماد من رواية أحاديث الصفات، فإنه كان بالقطع في أول أمره يحجم عن أحاديث الصفات لا يحدّث بها، ولكنه قد حدّث بها في آخر حياته على ما يقولون من كتابه مما يجعل البعض يحتمل أن تكون أحاديث الصفات قد دست عليه.

والواضح أنّ بعض هذه الأحاديث تصف الله بأوصاف ما كان لحماد من أول أمره أن يتحمل الاعتقاد بها، ولا أن يجازف بنفسه فيرويها، مما جعل رجالاً من المشاهير في مجال الحديث يأخذونها على حماد، ويعتبرونها مما دس عليه اعتذاراً عنه، وليس تبريراً له.

ومن هذا انتهى بعضهم كالإمام السيوطي مثلاً إلى أنّ هذا الحديث الموجود في مسلم والقائل بأنّ «أبا النبي في النار» هو من باب ما دس على حماد على أحسن الظروف، فما كان لحماد قبل أن يسوء حفظه أن يقبل التحديث بمثل هذا الحديث المخالف للعقل والقرآن الكريم على السواء.

وسأنقل بين يديك عبارة السيوطي في هذا الصدد قال: «هذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري، وفي إفراد مسلم أحاديث

متكلم فيها، ويوشك أن يكون هذا منها... إلى أن قال: وأما حماد بن سلمة وإن كان إماماً عالماً عابداً فقد تكلم جماعة في روايته، وتنكب البخاري عنه، فلم يخرج له شيئاً في صحيحه، وقال الحاكم في المدخل: ما خرج مسلم «في الأصول إلا حديثه عن ثابت».

وقد خرج له في الشواهد عن طائفة، وقال الذهبي: حماد ثقة له أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، فكانوا يقولون، إنها دست في كتبه!

وقد قيل: إنّ ابن البرجا كان ربيبه، فكان يدس في كتبه.

ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس: أنّ النبي قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[1]، قال: «أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساح الجبل» هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: «إنه لا يثبت، وإنه مما دسه ربيبه عليه».

والمناكير في رواية حماد كثيرة، وإنما أوردت هذا لأنه يسند الحديث الذي نحن في تعليله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

وأما «ثابت» فهو عند بعضهم ثقة، ولكن ذكره ابن عدي في الضعفاء وعلل الحديث فقال: «إنه وقع في أحاديثه ما ينكر»[١]، وهذا الحديث منها.

ولقد احتاط بعض كتب التراجم فقال: «إنّ أفضل المرويات عن ثابت ما رواه حماد عنه».

ونحن قد حدثناك عن طرف من أحوال حماد، ومن جملة ما ذكرناه في السند نستطيع أن نقول:

إننا أمام علة ربما تكون موجودة في الحديث الذي نحن بصدده تجعلنا نتوقف، في الأخذ به خاصة إذا كان الأمر أمر اعتقاد، والحديث على كل حال قد روي من طرق أخرى يكون من المفيد أن نذكر بعضها هنا:

أخرج البزار في «مسنده» والطبراني في المعجم الكبير بسند رجال الصحيح عن سعد بن أبي وقاص: أنّ أعرابياً أتى النبي فقال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «في النار»، قال: فأين؟ قال: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»[٢].

---

(١) ميزان الاعتدال: ج٢ ص ٨١ ت ١٣٥٦، والكامل في ضعفاء الرجال: ج٢ ص ١٠٠ ت ٣١٨، وتهذيب التهذيب: ج٢ ص٣.

(٢) مسند البزار: ج٣ ص٢٩٩ ح ١٠٨٩، وشرح السيوطي: ج٥ ص ١١١ ح ٢٦٢١.

وهذه الروايات لهذا الحديث تفيد أنّ النبي لم يجزم، بل لم يتناول الأب الشريف بالحكم عليه بأنه في النار، وإنّما سكت عنه ولجأ إلى التعميد حفاظاً على قلب الأعرابي وعقيدته، والذي ينبغي أن نفهمه من رواية مسلم هو كما يقول السيوطي: «والذي عندي في هذا الحديث أنّ لفظة «إنّ أبي وأباك في النار» ليست مروية باللفظ بل رواها الراوي بالمعنى، فوهم في ذلك، ولا نتكلم عن النبي بكلام مروي، ففهم منه السامع ذلك خطأ. وعلماء الحديث لكي يفهموا المعنى على وجه الصحيح، قرروا أن يتتبعوا الحديث بجميع روايته حتى قال قائلهم، لو نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه، يعني لاختلاف الرواة في إسناده وألفاظه، وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ وبينها النقاد، منها حديث مسلم في «نفي قراءة البسملة».

وقد أعله الشافعي وقال: إنّ الثابت من طريق آخر نفي سماعها، ففهم منه الراوي نفي قراءتها، فرواه بالمعنى على ما فهمه.

ولعله قد تبين لنا من كل ما ذكرناه أنّ الجزم بأنّ «أبا النبي في النار» جزء لا يقوم عليه دليل والقول في أم النبي الذي هو أصل موضوعنا قد تبين مما ذكرناه بياناً شافياً لا نحتاج بعده إلى مزيد.

أدلة نجاة أبوي النبي من الكتاب والسنة

من الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١] فالآية عامة وصريحة في أنّ الله تعالى لا يعذِّب أحداً حتى يرسل الرسل.

قال الألوسي صاحب روح المعاني في تفسيره عند شرح هذه الآية: «وما صح وما استقام بل استحال في السنة الإلهية المبنية على الحكم البالغ أو في قضائنا السابق أن نعذب أحداً بنوع من أنواع التعذيب دنيوياً أو أُخروياً على فعل شيء أو ترك شيء أصلياً كان أو فرعياً حتى نبعث إليه رسولاً يهدي إلى الحق ويبين الشريعة». فإنه وإن كان ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٢] إلا أنه سبحانه وتعالى ببالغ حكمته وكمال عدله وبمحض فضله لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل.

قال الشاطبي: «جرت سنته سبحانه في خلقه: أنه لا يؤاخذ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل، فإذا قامت الحجة عليهم؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولكل جزاء مثله»[١].

قال القاسمي - في معنى الآية -: وما صحَّ، وما استقام منا، بل استحال في سنَّتنا المبنية على الحِكم البالغة، أن نعذِّب قوماً حتى نبعث إليهم رسولاً يهديهم إلى الحق، ويردعهم عن الضلال؛ لإقامة الحجة، وقطعاً للعذر. والعذاب أعمُّ من الدنيوي والأخروي، أي: فهو يشملهما، وليس مختصاً بأحدهما»[٢].

وقال ابن تيمية: «إنّ الكتاب والسنة قد دلت على أنّ الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة، لم يعذِّبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل، لم يعذِّبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية»[٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] أي أنّ الحامل على إرسال الرسل تعللهم بهذا القول واحتجاجهم به.

---

(١) الموافقات: ج٣ ص ٣٧٧.
(٢) محاسن التأويل: ج١٠ ص ٢١٣.
(٣) مجموع الفتاوى: ج١٣ ص ٤٩٣.
(٤) سورة القصص، الآية: ٤٧.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾[١].

قال ابن جُزيْ في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل): «أُمُّ القرى مكة لأنها أوَّل ما خلق الله من الأرض ولأنَّ فيها بيت الله، والمعنى أنّ الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث سيدنا محمداً ﷺ في أمِّ القرى فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم».

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾[٢].

٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾[٣].

٦ - قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٤].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٩.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٠٨ - ٢٠٩.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

٧ - قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١).

٨ - قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾(٢).

٩ - قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٣).

قال البرسوي: «والمعنى: لئلا يكون للناس على الله معذرة يوم القيامة يعتذرون بها، قائلين: لولا أرسلتَ إلينا رسولاً فيبين لنا شرائعك، ويعلمنا ما لم نكن من أحكامك، وينبهنا من سَنة الغفلة، لقصور القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح، وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها. ففيه تنبيهٌ على أنَّ بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة، وإنّما سميت المعذرةُ حجةً مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعلٍ من أفعاله، بل أن يفعل ما يشاء، للتنبيه

(١) سورة السجدة، الآية: ٣.
(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

على أنّ المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته، لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مردَّ لها»[١].

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً لمن أراد أن يتبصر فعليه بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد سئل الإمام الشافعي عن صفات الله، وما يؤمن به؟

فقال: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، ولا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأنّ القرآن نزل بها، وصحت عن رسول الله ﷺ القول بها، فيما روى عنه العدول، فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه، فمعذور بالجهل؛ لأنَّ علم ذلك لا يقدر عليه بالعقل، ولا بالروية، والقلب، والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه به»[٢].

ما جاء في السنة:

أ - ما أخرجه مسلم في كتاب المناقب: بسنده إلى واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله عزّ وجل

---

(١) تفسير روح البيان: ج٢ ص ٣٢٤.
(٢) مختصر العلوم، للذهبي: ص ١٧٧.

اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[١].

ووجه الدليل من الحديث أنّ الاصطفاء يشعر بالنجاة، والقرآن يشهد لذلك الاصطفاء بآياتٍ كثيرة إذ إنّ الله لا يصطفي المشركين الأنجاس، إنّما يصطفي الموحدين الطاهرين فعبد الله أبو رسول الله ﷺ اصطفاه الله.

فلا يوجد دليل ما على قيام أي من الوالدين المحترمين للرسول ﷺ بعبادة الأصنام. فمن الحقائق التاريخية وجود كثير من الموحدين الذين لم يعبدوا الأصنام والأوثان في ذلك العهد حيث كانوا على دين إبراهيم عليه السلام.

قال العلامة الصالحي: «ثم قال الشيخ[٢] وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي موحدة. فذكر أثر أم سماعة - بنت أبي رهم عن أمها- السابق ثم قال: فهذا القول من أم النبي ﷺ صريح في أنها موحدة إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنها ﷺ بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام ونهيه عن عبادة الأصنام وموالاتها مع

---

(١) صحيح مسلم: ٤ص ١٧٨٢ح ٢٢٧٦، وسنن الترمذي: ج٥ ص ٥٨٣ ح ٣٦٠٦، ومسند أحمد: ج٤ ص ١٠٧.

(٢) يعني به جلال الدين السيوطي.

الأقوام وهل التوحيد شيء غير هذا؟ التوحيد الاعتراف بالله وإلهيته وإنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها.

وهذا القدر كاف في التبري من الكفر وصفة ثبوت التوحيد في الجاهلية قبل البعثة.

وقد قال العلماء في حديث الذي أمر عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح وقوله: (إن قدر الله علي) إنّ هذه الكلمة لا تنافي الحكم بإيمانه لأنه لم يشك في القدرة ولكن جهل فظن أنه إذا فعل ذلك لا يعاد.

ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً، فقد كان جماعة تحنفوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك وتمسكوا بدين إبراهيم ﷺ وهو التوحيد، كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانه في الحديث ومشهود له بالجنة، فلا بدع أن تكون أم النبي ﷺ منهم، كيف وأكثر من تحنف إنّما كَان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب قرب زمنه ﷺ منَ أنه قرب بعث نبي منَ الحرم صفته كذا، وأم النبي ﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها، وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة، ورأت النور الذي خرج منها أضاءت له قصور الشام حتى رأتها كما

ترى أمهات النبيين صلى الله عليهم أجمعين وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره وهي مذعورة: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن.

في كلمات أخرى من هذا النمط، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به فماتت في الطريق.

فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت في حياتها»[1].

أيمكن تصور أنّ الله تعالى الذي لا يهمل ولا يضيع أي شيء حتى الذرات التي تدخل في جسد الإنسان بل يجعلها في الميزان يوم القيامة، والمنزه عن أي عبث.. أيمكن تصور أنّ الله تعالى سيضيع والديّ الرسول ﷺ وكانا هما السبب والوسيلة في ظهور الجسد المادي للرسول ﷺ إلى الدنيا؟!

فإن لم يكن الله ليضيع الموحدين في ذلك العهد من أمثال زيد ابن عمرو، وورقة بن نوفل، وغيرهما. فلقد آمن هؤلاء بقلوبهم بالله تعالى، قد لا يكونون يعلمون كلمة (الله) فلا يستطيعون قول (يا الله)، ولكنهم كانوا يؤمنون بوجود إله واحد وكانوا يتوجهون

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي: ج٢ ص ١٢٦ - ١٢٧.

بدعائهم إليه. فقبيل البعثة المحمدية كان الجو قد أصبح ملائماً ومناسباً. فكان أصحاب هذه الأرواح الحساسة قد شعروا بقرب هطول الرحمة الإلهية.. شعروا وحدسوا بهذا وكانوا يبشرون من حولهم من الناس بهذه البشارة. لذا فنحن نأمل أنّ رسول الله ﷺ الذي أعطي حق شفاعة واسعة ولا ينسى يوم القيامة هؤلاء الأشخاص والأفراد الذين كانوا يترقبون مجيئه بفارغ الصبر وبكل وجد وشوق وأن يأخذ بيدهم في ذلك اليوم ليقودهم إلى بر الأمان. كما نؤمن بأنّ الأشخاص الآخرين في ذلك العهد الذين لم يعبدوا الأصنام سيكونون من أهل النجاة مثل هؤلاء الأصناف تماماً.

وجاء في التاريخ: أنّ عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة الأشرم وقال له: أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه. وكان ذلك عندما جاء أبرهة لهدم الكعبة وأخذ بعض الإبل الخاصة بعبد المطلب.

وقد صدق عبد المطلب في قوله فإنّ الله قد حمى البيت كما قال. فهل هذا كان عن صدفة أم أنّ عبد المطلب كان موحداً بل مؤمناً بالله، ولذلك قال بأنّ للبيت رب يحميه؟! ولماذا لم يقل الآلهة تحميه، بل قال رب يحميه، أي رب واحد.

وقد رضي الله لعبد المطلب صلابته في حرمة بيت الله وثباته

فأرسل على الغزاة العتاة جنداً من المساء: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[1] وما كان هذا التوفيق الإلهي في تلك الساعة لعبد المطلب نفسه وإنّما لجنين في رحم آمنة بنت وهب قد بلغ منه سبعة أشهر وكان أبوه في تلك الأثناء في يثرب يلفظ أنفاسه الأخيرة وأمه تجلس في بيتها تنتظر عودة زوجها الغائب وتترقب مع الناس قلقة أوبة حميها في معسكر أبرهة: هذا الجنين الذي أذن الله له أن يتنسم أنسام مكة بعد خمسين يوماً من غزوة أصحاب الفيل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، به قد وفق الله جده وأكرمه وأكرم العرب والعالمين.

٢ - روى أبو نعيم في دلائل النبوة: أنّ النبي ﷺ قال: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًّى مهذَّباً لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

فوصف رسول الله ﷺ أصوله بالطاهرة والطيبة وهما صفتان منافيتان للكفر والشرك قال تعالى يصف المشركين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2].

قال الحافظ زين الدين العراقي في مورده الهني ومولده السني:

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ٣ - ٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

حفظ الإله كرامةً لمحمدٍ
آباءهُ الأمجادُ صوناً لاسمِه
تركوا السفاح فلم يصيبهم عارهُ
من آدمٍ وإلى أبيهِ وأمهِ

٣ - ما ذكره ابن حجر القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية قال: روى الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: «شهدت آمنة أمَّ النَّبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد ﷺ، يَفِع له خمس سنين، عند رأسها، فنظرت إلى وجهه وقالت أبيات شعر، ثم قالت: «كل حيٍّ ميِّت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميِّتة وذكري باقٍ، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً». ثم ماتت فكنَّا نسمع نوح الجنِّ عليها، أخرجه الإمام أحمد وصححه الحاكم من حديث العرباض بن سارية السلمي قال «ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك أمهات النبيين يرين»[(١)]، بمعنى أي يلهمن.

فمن كان آخر كلامه هذا ألا يدل على سلامة فطرته، ومن يبشر بقدوم رسول الله ﷺ، و... يُقال فيه أنَّه من أصحاب النَّار؟!!

(١) مسند أحمد: ج٤ ص ١٢٨، والمستدرك على الصحيحين: ج٢ ص ٦٥٦ ح ٤١٧٥، والمعجم الكبير: ج٨ ص ١٧٥ ح ٧٧٢٩.

مقولة الشيعة الإمامية:

من معتقدات الشيعة الإمامية في الأنبياء والمعصومين عليهم السلام أنهم لم يتنقّلوا إلا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر، وذلك من أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء عليها السلام حتى قدموا إلى هذه الحياة الدنيا.

فلا يمكن أن يودع المعصوم في صلب غير طاهر أو ليس بموحّد، أو أنّه يبقى في رحم غير مطهّر، وهذا ما دلّت عليه الروايات الشريفة:

قال صلى الله عليه وآله: «خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم عليه السلام بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم عليه السلام ثم نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»[1].

وعن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال عليه السلام: كانوا يعبدون - يصلّون إلى - البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به[2].

---

(١) إرشاد القلوب: ج٢ ص ٤١٥.

(٢) كمال الدين للصدوق: ص ١٧٤ ح٣٢، وبحار الأنوار: ج١٥ ص ١٤٤ ح ٧٦.

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي إنّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام»[١].

وعن داود الرَّقي قال: دَخَلْتُ عَلَى أبِي عَبْدِ اللَّهِ - يعني الإمام الصادق - عليه السلام وَلِي عَلَى رَجُلٍ مَالٌ قَدْ خِفْتُ تَوَاهُ فَشَكَوْتُ إلَيه ذَلِكَ.

فقال لي: «إذَا صِرْتَ بمَكَّةَ فَطُفْ عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ طَوَافاً، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ عَنْهُ، وَطُفْ عَنْ أبِي طَالِبٍ طَوَافاً، وَصَلِّ عَنْهُ رَكْعَتَيْنِ، وطُفْ عَنْ عبدِ اللَّهِ طَوَافاً، وَصَلِّ عَنْهُ رَكْعَتَيْنِ، وَطُفْ عَنْ آمِنَةَ طَوافاً وَصَلِّ عَنْها رَكْعَتَيْنِ. وَطُفْ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ طَوَافاً، وَصَلِّ عَنْهَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ ادْعُ أنْ يُرَدَّ علَيْكَ مَالُكَ».

قال: فَفَعلتُ ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ بابِ الصَّفَا وإذَا غَرِيمِي وَاقِفٌ يَقُولُ يا دَاوُدُ حَبَسْتَني تَعَالَ اقْبِضْ مالَكَ[٢].

---

(١) الخصال: ص ٣١٢ ٩٠، ومن لا يحضره الفقيه: ج٤ ص ٣٦٥ ح ٥٧٦٢، وبحار الأنوار: ج١٥ ص ١٢٧ ح ٦٧.

(٢) الكافي: ج٤ ص ٥٤٤، ومن لا يحضره الفقيه: ج٢ ص ٥٢٠ ح ٣١١٦.

وقد روي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه سئل عما يقول له الناس أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار؟

فقال عليه السلام: «لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه».

ثم قال عليه السلام: «ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وآمنة وأبي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم»[١].

وهاتان الروايتان دليل فقهي على إسلامهم، لأنّ غير المسلم لا يُحَجّ عنه.

وقد روى هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إنّ الله عزّ وجلّ قد شفعك في خمسة: في بطن حَمَلك وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وفي طلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطلب، وفي حجر كفلك وهو عبد المطلب بن هاشم، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهلية.

قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟!

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٥ ص ١٥٦.

فقال: «كان أُنسي وكنت أنسه وكان سخياً يطعم الطعام»[١]

ونقرأ في زيارة رسول الله ﷺ: «أشهد يا رسول الله أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها».

ونقرأ أيضاً في زيارته ﷺ: «.... السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين الهادين المهديين، السلام عليك وعلى جدك عبد المطلب وعلى أبيك عبد الله، السلام عليك وعلى أمك آمنة بنت وهب، السلام على عمك حمزة سيد الشهداء، السلام عليك وعلى عمك عباس بن عبد المطلب، السلام على عمك وكفيلك أبي طالب...».

إلى غير ذلك من الروايات والزيارات الشريفة التي تنصّ على أنّ المعصومين عليهم السلام لا يودعون إلا في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة، مضافاً إلى بعض الشواهد التاريخية المؤيّدة لذلك.

وأخيراً نقول:

ثبت عن أبي حميد وأبي أسيد، عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه

---

(١) الخصال: ج١ ص ٢٩٣.

قال: «إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه»(١).

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: إذا حدثتم عني حديثاً تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به قلته أو لم أقله فإني أقول ما تعرفونه ولا تنكرونه، وإذا حدثتم عني حديثاً تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما تنكرونه وأقول ما تعرفونه»(٢).

وعن أبي أيوب الأنصاري وعوف بن مالك الأشجعي وعبد الله ابن عمرو أنّ رسول الله ﷺ قال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله ﷻ أحلوا حلاله وحرموا حرامه»(٣).

إنّ النبي ﷺ أمر بالتمسك بكتاب الله تعالى بعد وفاته لأنّ الحديث المروي عنه ﷺ يمكن أن يتلاعب به بعض الناس أو

---

(١) وهو حديث صحيح صححه الألباني في الصحيح ج٢ ص ٣٦٩.
(٢) رواه الطحاوي في مشكل الآثار: ص١٤ ح ٣٤٧ وهو حسن.
(٣) رواه الطبراني في الكبير، - ٣٨١٨، وصححه الألباني في الصحيح: ج٣ ص ٤٥٨.

يدسوا فيه ما يوافق أهواءه خلافاً لكتاب الله تعالى الذي تكفل الله بحفظه.. ولذا قال الإمام فخر الدين الرازي: «إن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» رواه أبو نعيم في الدلائل وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً فكيف بآياته».

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام عن آباء الرسول ﷺ: «فاستودَعَهم في أفضل مستودَع، وأقرّهم في خير مقرّ، تناسختْهم كرام الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلّما مضى منهم سَلَف قام منهم بِدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ، فأخرجه من أفضل المعادن مَنبتاً، وأعزّ الأرومة مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أُمناءه»[2].

فعليك يا رسول الله السلام وعلى أمك الطاهرة آمنة بنت وهب:

بك علياء بعدها علياء تتباهى بك العصور وتسمو
الذي شرفت به حواء فهنيئاً به لآمنة الفضل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة الرابعة.

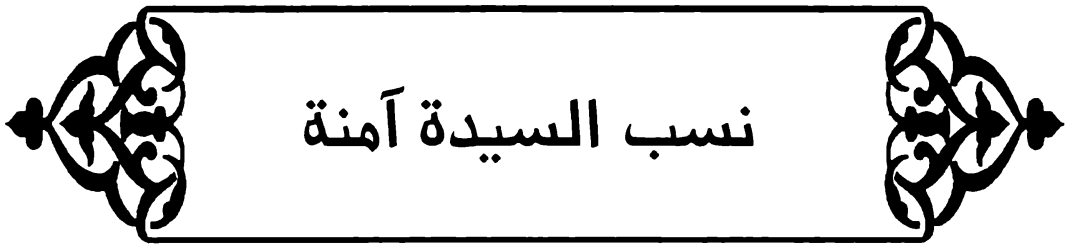

نسب السيدة آمنة

هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

وفهر هو قريش، وزهرة هو الأخ الشقيق لقصي بن كلاب الجد الأكبر لرسول الله ﷺ؛ حيث أنجب قصي؛ عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى.

وأنجب عبد مناف: عبد شمس، ونوفل، وهاشم، والمطلب، وخويلد.

وأنجب هاشم: عبد المطلب، الذي أنجب عبد الله والد رسول الله ﷺ.

وجدها لأبيها هو عبد مناف بن زهرة؛ الذي يقرن اسمه باسم ابن عمه عبد مناف بن قصي فيقال: «المنافان» تعظيماً وتكريماً.

ولم يكن نسب آمنة من جهة أمها دون ذلك عراقة وأصالة، فهي ابنة برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب.

وجدتها لأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي.

ووالدة أم حبيبة هي: برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.

لقد أنبتت هذه السلالة العريقة الأصيلة «زهرة قريش» سيدتنا آمنة عليها السلام لتضطلع بعبئها الجليل في أمومتها التاريخية، فهو إرث مجيد أهدته إلى ولدها فجمعت له عز المنافين: عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وعبد مناف بن قصي بن كلاب، وجعلته صلى الله عليه وآله وسلم يعتز بنسبه فيقول في حديث رواه ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً: «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»(١).

وفي هذا المعنى يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حول النسب النبوي الطاهر:

«... وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ الله الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ في خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمُ فيهِ عَاهِرٌ وَلا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ...»(٢).

---

(١) الخصائص الكبرى، للسيوطي: ج١ ص ٣٧، والسيرة الحلبية: ج١ ص ٤٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣٠.

وفي صحيح الحديث عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنانة، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(١).

بنو زهرة وبنو عبد مناف:

عرف بنو زهرة بالود الخاص لبني عبد مناف دون إخوتهم من بني عبد الدار، وقد كان قصي بن كلاب حين كبر قد عزّ عليه ألا يبلغ ابنه البكر عبد الدار ما بلغه ابنه عبد مناف من شرف ورفعة فقال قصي لبكره: «أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن كانوا شرفوا عليه: لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تفتحها أنت له ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ولا يقطع أمر من أمورها إلا في دارك»(٢).

وكان ما كان من إذعان قريش لوصية شيخها حين تم إجماع

---

(١) صحيح مسلم: ٤ ص ١٧٨٢ ح ٢٢٧٦، وسنن الترمذي: ج٥ ص٥٨٣ ح ٣٦٠٦، ومسند أحمد: ج٤ ص ١٠٧.

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص١٩، تاريخ الطبري: ج١ ص٥٠٨، والطبقات الكبرى: ج١ ص ٧٣، الرحيق المختوم، للمباركفوري: ص ٤٢.

بني عبد مناف بن قصي أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم.

فتفرقت عند ذلك؛ فكانت طائفة مع بني عبد مناف يرون أنهم بمكانتهم من قومهم أحق بالأمر من بني عبد الدار. وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما كان قصي جعله إليهم وعقد كل فريق على أمرهم حلفاً مؤكداً.

وقد كان بنو زهرة مع بني عبد مناف إخوة متجاورين لا ينفصلون، وكانت بيوتهم متجاورة كذلك، وكانوا ممن سبقوا إلى تلبية النداء حين تداعت قبائل من قريش إلى حلف الفضول قبل البعثة بعشرين سنة، وكان أكرم حلف وأشرفه، وقد تعاهد أعضاء الحلف على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا أقاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد له مظلمته.

زواج آمنة وعبد الله:

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل، زوجه من أشرف نساء مكة نسباً، وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

ولم يلبث أبوه أن توفي بعد أن حملت به آمنة، ودُفن بالمدينة عند أخواله بني (عدي بن النجار)، فإنه كان قد ذهب بتجارة إلى الشام فأدركته منيته بالمدينة وهو راجع، وترك هذه النسمة المباركة، وكأنّ القدر يقول له: قد انتهت مهمتك في الحياة وهذا الجنين الطاهر يتولى الله ﷻ بحكمته ورحمته تربيته وتأديبه وإعداده لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

ولم يكن زواج عبد الله من آمنة هو بداية أمر النبي ﷺ.

قيل للنبي ﷺ: ما كان أول بدء أمرك؟

فقال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»(١).

ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢).

وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله ﷻ حاكياً عن

---

(١) مسند الإمام أحمد: ج٥ ص ٢٦٢، وتفسير ابن كثير؛ ج١ ص ١٨٦ وج ٤ ص ٣٦٠. قال ابن كثير: «وهذا إسناده جيد».
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(١).

وقوله: «ورأت أمي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»؛ قال ابن رجب: «وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزالت به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(٢).

فهل نجد ما يشبه هذه البشارة لدى أمهات الأنبياء والرسل؟ وهل كانت تصدر إليهن الإشارات الإلهية بمستقبل الصغير المنتظر؟

نعم، كانت مثل هذه الإشارات إلى بعضهن أبلغ في الدلالة وأجلى في الصراحة، بل كانت إعلاماً وإخباراً مكشوفاً.

فأخبر الله أم موسى عليه السلام وموسى في أيامه الأولى:

---

(١) سورة الصف، الآية: ٦.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(١).

وأعلم الصديقة مريم عليها السلام بمستقبل عيسى عليه السلام قبل أن تلقى إليها الكلمة ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾(٢).

ولا شك أنّ وضع الصديقة الفريد كان أحوج إلى وضوح الإعلام من سيدتنا آمنة ومن أم موسى، إذ كانت تحتاج إلى أن تصدق نفسها في أمرها حتى تقوى على الصمود في وجه تكهنات الناس وتخرصاتهم. ومن ثم حمل عيسى عليه السلام معه آية خلقه ونبوته عندما نادى أمه من تحتها حين وضعته(٣)، وفي مخاطبته المجتمع المستنكر المهتم وهو في المهد(٤).

كذلك بشرت الملائكة نبي الله زكريا بيحيى عليه السلام، ومن قبل جاءت إبراهيم البشرى بإسحاق ويعقوب.

هذه الدلالة هنا صريحة ولإعلام أم موسى بها، ومريم وزكريا

(١) سورة القصص، الآية: ٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٢٤.
(٤) سورة مريم، الآية: ٢٩.

وإبراهيم وزوجه إعلاماً مكشوفاً، لأسباب لا تخفى، ولم يكن سبب منها لآمنة. فكان رؤياها النور الذي أضاء لها القصور من بصرى الشام رمزاً للمستقبل. ولو أنّ الأمر يتطلب ما فوق الرمز لجاءها من الله بيان. ولكنها أُعطيت ما يكفيها لتتنبه لشأن وليدها. ولم يعترض حياتها وحياة وليدها من الظروف النادرة أو الخطرة أو المغايرة للمألوف - كظرف إبراهيم وزكريا - ما يقتضي الوحي. فكان الرمز هو القدر المناسب الكافي ليبعث في نفس آمنة التوقع والتفاؤل.

ويروي ابن سعد في طبقاته الكبرى: قالت آمنة أم النبي ﷺ: «لقد علقت به - تعني رسول الله ﷺ - فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني، خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم: وقع جاثياً على ركبتيه رافعاً رأسه إلى السماء، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتى رأت أعناق الإبل ببصرى»[1].

وفي روية إسحاق بن عبد الله أنها قالت: «لما ولدته خرج مني

(١) الطبقات: ج١ ص ١٠٢.

نور أضاء له قصور الشام، فولدته نظيفاً، ولدته كما يولد السخل ما به قذر، ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرش بيده. . .»[١].

ويقول الطبري: «اعلم أنّ آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها لما حملت برسول الله ﷺ، قيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع بالأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً. . . عن عثمان بن أبي العاص قال حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ - وكان ذلك ليل ولدته - قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي!»[٢].

وأقبلت الأم على صغيرها ترضعه ريثما تفد المراضع من البادية ولكن الأحزان لم تتركها فجف لبنها عليها السلام بعد أيام، فدفعت به إلى ثويبة جارية عمه عبد العزى فأرضعته، وكانت قبله قد أرضعت عمه حمزة بن عبد المطلب، ووفدت المرضعات من البادية ولكنهن زهدن في الرضيع الذي مات أبوه قبل أن يحقق لنفسه غنى يذكر، وثقل على الأم أن ترى مراضع البادية يعدن إلى

(١) الطبقات: ج١ ص ١٠٢.
(٢) تاريخ الطبري: ج١ ص ٤٥٤.

ديارهن زاهدات في ولدها الشريف اليتيم مؤثرات عليه أطفال الأحياء ممن يرجى منهم الخير الوافر.

إلى أن جاءتها حليمة بنت أبي ذؤيب السعدي تلتمس محمداً، وانتظرت الأم الوحيدة عودة ابنها حتى جاءت به السيدة حليمة وهو ابن الثانية وكأنه ابن أربع سنوات لما بدا عليه من علامات النضرة والنضج والصحة، وراحت السيدة حليمة تحدثها عن جو مكة شديد الحر فحملها قلبها النابض بالحب والإيثار على مزيد من الاحتمال والتصبر.

ولقد علمت السيدة آمنة أن ليس للشيطان عليه من سبيل، وأنّ لابنها شأناً. وها هي تحث السيدة حليمة بخبر ابنها فتقول: فوالله ما رأيت من حمل أخف من حمله ولا أيسر منه وقع حين ولدته وأنه لواضع يديه على الأرض ورافع رأسه إلى السماء...

ويعترف كتاب السيرة بما كان لها من أثر جليل في هذه المرحلة من عمر نبي الإسلام فيقول ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً وأثمرت عنايتها الفائقة فبدت على محمد ﷺ بوادر النضج المبكر ورأت فيه وهو ابن السادسة مخايل الرجل العظيم الذي طالما تمثلته ووعدت به في رؤاها.

وفي رحلتها الأخيرة إلى يثرب حدثت الأم العظيمة ابنها الطاهر عن رحلة تقوم بها كي يزور قبر عبد الله الحبيب، وفرح الابن وسرّه أن تصحبه أمه في زيارة لمثوى فقيدهما، وأن يتعرف على أخواله المقيمين بيثرب، وكان الجو صيفاً والشمس تلهب الصخور وتصهر الرمال ووصل الركب إلى يثرب ومكثت السيدة آمنة وابنها هناك شهراً، ثم بدأت رحلت العودة التي سيظل ابن عبد الله ﷺ يذكرها وأثناء العودة مرضت السيدة آمنة وأحست أنه الأجل المحتوم وبكت حزناً على ابنها اليتيم فأخذ يجفف دمعها بيديه الصغيرتين إلى أن فاضت روحها وتركت في نفس وليدها ألماً لم ينساه ﷺ طوال حياته.

تتباهى بك العصور وتسمو ... بك عليا بعدها عليا
فهنيئاً به لآمنة الفضل ... الذي شرفت به حواء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء

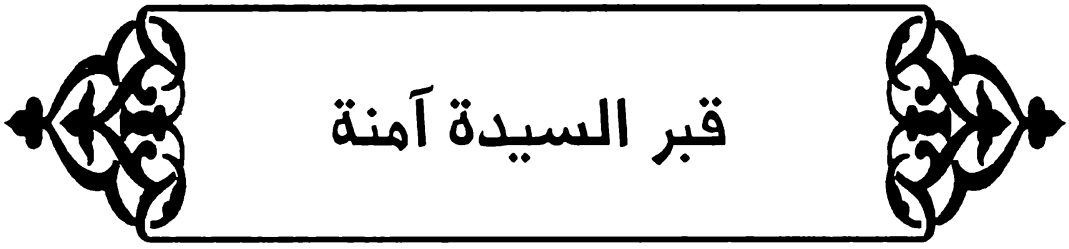

قبر السيدة آمنة

على طريق الهجرة القديم بين مكة والمدينة تقع تلة جبلية شهيرة يتوسد قمتها قبر معروف طوال قرون، ظل المتعارف عليه بين الناس بأنه ترقد فيه السيدة آمنة بنت وهب أم النبي محمد عليه السلام.

وفي السنوات الأخيرة ثار جدل حول صحة مكان القبر، والأدلة الشرعية والتاريخية على وجوده، خاصة أن أهالي القرية كانوا يستهجنون ما يفعله الزوار الغرباء في هذا المكان من أفعال يرون أنها متناقضة مع صحيح الإسلام(؟)، خاصة أنّ أهالي القرية وبعض المتدينين ينفون وجود دليل على صحة نسبة هذا القبر للسيدة آمنة، خصوصاً أنّ كتب السيرة القديمة والمراجع التاريخية تؤكد أنّها دفنت بين مجموعة قبور، بينما هذا القبر يقف لوحده في هذا المكان.

هذا الجدل انتهى سريعاً بعد أن قررت تلك المجموعة حسم الأمر بإزالة القبر. ومن هنا تبدأ قصة رحلة البحث عن قبر أم

النبي، التي كان قد بدأها الكاتب الصحفي المهتم بالكتابة عن الأماكن المقدسة (عمر المضواحي) في العام ٢٠٠١:

بين الخوف والتردد يقف أهالي قرية الأبواء (١٨٠ كلم من المدينة المنورة) عند الحديث عن مرقد أم النبي ﷺ، فهم لا يخالجهم أدنى شك بأنّ السيدة آمنة بنت وهب لفظت أنفاسها الأخيرة في مكان ما من قريتهم العتيقة، المعروفة حالياً بـ«الحرية» نسبة لتعرضها لسيل جارف أحدث فيها خراباً، في طريق عودتها من يثرب (المدينة المنورة) إلى مكة، لكنهم يتوقفون كثيراً أمام تحديد المكان الذي دفنت فيه بدقة، ويلوذون عادة بالسكوت المطبق على الإجابة عن هذا السؤال الحساس.

أفعال يستهجنها أهالي القرية على الزائرين:

وتعرف الأبواء الواقعة على طريق الحاج القديم بأنها محط القاصدين لزيارة قبر أم النبي (إلى الشمال من مدخلها الترابي) ويلتزم كثير من أتباع المذهب الشيعي الجعفري إلى مداومة الحضور وزيارة القرية كونها، إلى جانب الضريح، مسقط رأس الإمام موسى الكاظم (١٢٨ هجرية) حفيد سبط النبي ﷺ.

وكان الحجاج والزوار يفدون إليها عادة في المواسم الدينية، خصوصاً القادمين من الهند والباكستان وإيران وغيرهم للزيارة

وهم محمّلون بالبخور ودهن الطيب على أنواعه لسكبها فوق حجارته، كما يحرص بعضهم على صبغها باللون الأخضر، فيما يجلل آخرون ظهر الضريح بلفائف من القماش الأخضر تكريماً لصاحبته، ومودة ليتيمها خاتم الأنبياء ﷺ.

ويشتاط بعض الأهالي غضباً، وخاصة المتدينين، من عادات الزوار وتصرفاتهم في تعظيم المنهي عنه في الإسلام؟! وكثيراً ما يدفعهم حنقهم إلى الدخول في مشاجرات وتلاسن مع المغالين لمنعهم عن صرف أي شكل من التكريم للقبور مهما علا شأن ساكنها لما يرونه طريقاً مفضياً إلى الشرك (؟!) بالله الواحد. وربما مهد تنامي هذا الشعور الطريق، عبر السنوات الماضية، إلى إزالة القبر المشهور.

ويتذكر عمر المضواحي أنّ دليله إلى القرية راشد اليوبي «أبو سعد» كان يتحرج بشدة وهو يروي أخباراً عن أحوال الزوار، ومدى ما يلقاه أهالي القرية من عنت وجفاء عند نصحهم بأنّ ما يفعلونه عند القبر مخالف للسنة النبوية المطهرة، ومهدداً لعقيدة الإيمان. يقول: «إنهم لا يستمعون إلى نصحنا ورغبتنا الصادقة في الخير لهم. وأشد ما نقلاه من حرج عندما يشيح الزوار بوجوههم المتمعرة سخطاً علينا وهم يرددون: هل هذه ضيافتكم لنا يا أهل أم النبي».

الرسول مرّ بين مجموعة قبور بالأبواء:

وبثقة واضحة يؤكد شيخ قرية الأبواء سالم المحمدي متحدثاً إلى عمر المضواحي: «إنّ أم النبي عليها السلام دفنت في الأبواء. لكنّ القبر المشهور في أعلى الجبل لا يجوز نسبته إليها لكونه وحيداً في رأس جبل على عكس ما ذكرته كتب السيرة والتاريخ من أنها دفنت بين مقابر عدة». مشدداً على أنّ «الثابت لنا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام مرَّ بالأبواء مع نفر من أصحابه، ومرَّ بين مجموعة قبور ليقف على إحداها، قبل أن يخبر أصحابه بأنه قبر أمه آمنة بنت وهب».

سألته إن كان القبر المشهور مزعوماً كما يؤكد، فأين موقع القبر من القرية؟..

أجاب بعد لأي شديد: «هناك مقبرة قديمة تعرف بمقبرة (أم عثمان) وهي أقدم مقابر القرية تاريخياً، لكنني لا أستطيع التأكيد على أنها تضم رفات أم رسول الله عليه السلام».

رحلة طويلة إلى مقبرة أم عثمان:

عزمت على دليلي «أبو سعد» العارف بكل تفاصيل المنطقة، أن يأخذنا إلى مقبرة أم عثمان. تردد طويلاً قبل أن يوافق. كنا خلال سبع ساعات متواصلة، قطعنا فيها كل أرجاء وادي الأبواء

أحد أكبر أودية الحجاز التهامية، ووقفنا مراراً على شواهد تمثل جزءاً هاماً من بدايات التاريخ الإسلامي، وآثار لآبار قديمة، ومساجد عتيقة، لم يبقَ منها سوى بضعة أحجار مرصوفة تحدد مكانها القديم الذي ورد بشأنها أنّ النبي محمداً صلّى فيها، ويطلبها الزوار لنيل شرف الاقتداء وبركة الصلاة فيها.

كانت إطارات السيارة تخترق التخوم والكثبان الرملية بسرعة كبيرة مخلفة سحباً من الغبار والأتربة، على أمل أن نصل إلى المكان قبيل غروب الشمس. كنت أستشف حرص دليلي على أن أتوه في هذه الفلاة الواسعة كي لا أعرف طريق العودة إليها أبداً مرة أخرى.. وقبل أن يتملكني اليأس بالوصول أشار «أبو سعد» بسبابة جافة وصوت متردد، إلى مقبرة قديمة في بطن الوادي وهو يقول: «بين هذه القبور القديمة يوجد مقبرة قديمة في بطن الوادي وهو يقول: «بين هذه القبور القديمة يوجد قبر السيدة آمنة بنت وهب أم النبي عليه السلام. مؤكداً أنه لا أحد بين جنبات هذه الحارات مَن يعرف الموقع بدقة».

لم يكن هناك ما يشير إلى أنّ ما نراه مقبرة قديمة، لولا بقايا حجارة عبثت بها صروف الزمن والإهمال، متناثرة هنا وهناك فوق هذا الجزء المفتوح من الوادي. والمقبرة لا تتميز بشيء عن ما جاورها من فضاء رملي تحفه شجيرات شوكية، سوى أنّ أعشابها

وحشائشها أكثر اخضراراً أو هكذا تبدو للناظر.

وغني عن القول أنني فشلت تماماً في الحصول عن إجابة لسبب تسمية المقبرة بأم عثمان، أو من تكون هذه المرأة الأكثر شهرة من أم النبي؟!، وكل ما حاولت السؤال يمطُّ المجيب شفتيه ويهز كتفيه، كناية عن جهله بالأمر برمته.

تاريخ من حجارة:

تتعدد المناطق الأثرية في القرية خصوصاً في جانبها الجنوبي باتجاه مكة عند ما يعرف «ريع هرشا» وهو جبل مرتفع يقطع طريق الحاج القديم. وتتملك الدهشة كل من ينظر إليه كيف تمكن السكان القدماء بأدواتهم البسيطة من حفر طريق بعرض نحو ٨ أمتار في جبل بركاني صلد لتسليك طريق الحجاج، وزادوا عليه إنشاء جدار من الحجارة تعرف بال «رضم» رصت بعناية على جانبي الطريق تعلوها على ارتفاع نحو ستة أمتار تقريباً قشرة سميكة الأحجار والأتربة فوق رؤوسهم.

ويؤكد أبو سعد «أنّ ريع هرشا كان أصعب رحلة في طريق الحاج القديم»، وفي سفح الجبل المتجه إلى الشمال يوجد المسجد الأبيض مقام بالقرب من المكان الذي يعتقد سكان القرية أن النبي ﷺ صلّى فيه.

إلى الشمال من وادي الأبواء توجد منطقة تعرف بـ- «العاصد: وهي مناخ اعتاد البدو الرحل على النزول فيه مع مواشيهم عند حلول الربيع وبالقرب منه تنتشر آبار قديمة، شحيحة الماء، أشهرها بئر «بن مبيريك» وعادة ما تتوفر الآبار على استراحات يجلس فيها المسافرون عبر طريق الحاج القديم للراحة والتزود بالماء أثناء تنقلهم بين مكة والمدينة.

المكان الذي بات فيه النبي في طريق هجرته:

يضيف المضواحي: تركنا العاصد خلفنا، لنتجه إلى موقع يقال له«تلعة أبو صريحة» وهو كما يؤكد الأهالي المكان لذي أناخ فيه النبي ركابه عند هجرته إلى المدينة وبات فيه. وكالعادة لا يوجد ما يشير إلى أهمية المكان وتاريخه، لكنه لا زال محفوظاً في صدور السكان يتناقلونه شفهياً جيلاً بعد جيل.

ولا يغفل الناظر ثراء الحياة الفطرية في هذا المكان، فعلى غصون أشجار الطلح والسدر تشاهد أعشاش طائر يعرف محلياً باسم «سويد أبا العنم»، وهي مغزولة بشكل كروي بديع بالقش والريش، ولها فتحات إلى الشرق بحيث لا يدخلها الهواء الساخن وما يحمله من الغبار حماية للبيض والأفراخ الصغيرة، ومن الطيور المشهورة أيضاً في الأبواء «القماري» و«النغاري»، وطائر «الصعو».

مسجدان صلّى فيهما الرسول في الأبواء:

في مرعى كثيف الحشائش والأشجار، خلف جبل صغير جلس شيخ قرية الأبواء سالم يوسف عطية «أبو جلي» المحمدي يحتسي القهوة وحيداً على أريكة مفروشة بجلد الضأن وأمامه وعاء مملوء بتمر معجون بالسمن البلدي وبدقيق حبوب الدخن، وهو يراقب عمل راع له يهش على قطعان الأغنام لتأوي إلى حظائرها قبل غروب الشمس، ووراءه برج عال تتزاحم أجنحة أسراب الحمام على فتحات أعشاشها المرتفعة.

وقص علينا الشيخ حكايات وروايات عن قريته القديمة، التي يسكنها نحو خمسة آلاف نسمة، معظمهم من قبيلة حرب من «بني محمد» و«بني أيوب من البلادية» ومنهم قبيلة اليوبي والمحمدي والنعماني، والسادة. ويعمل أغلب السكان في الرعي والزراعة وتشتهر الأبواء بزراعة الطماطم والبامية والبطيخ وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى كالقمح والخضراوات.

وينقل المضوحي ما دار من حديث بينه وبين الشيخ المحمدي ورد فيه على لسان الأخير أنّ الأبواء تضم آثاراً كثيرة، ومر بها الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه مراراً، وفيها مسجدان ثبت أنه صلّى فيها أحدهما في ريع هرشا، والآخر معروف بمسجد

القرين الذي يقع في وسط القرية. كما ورد أنه اغتسل بها وأهدي له حمار وحشي من أهل القرية.

وقال إنه قرأ في أمهات الكتب أنّ أول غزوة غزاها النبي في الإسلام كانت في الأبواء، بعد اثني عشر شهراً من مقدمه الميدنة، وكانت في شهر صفر ولم يقاتل فيها ولم يلق كيداً. وأنّ النبي أقام بالأبواء بقية صفر وعاد ربيع الأول، وكان لواؤه في هذه الغزوة أبيض اللون يحمله عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وتم الصلح في مكان يقال له«شعيب جاروره» وهو مكان معروف بهذا الاسم حتى الآن.

وأشار إلى أنّ الكتب القديمة ذكرت أنّ النبي عليه السلام بات في مكان يعرف حتى الآن باسم «أم مريخة» وبعد ذلك ذهب إلى «مزاح»، ثم إلى مكان يقال له«أم كشنة» وبعدها دخل البساتين، ومن ثم راح إلى «أم البرك» في طريقه إلى «المسيجيد» وهذا الطريق هو خط مسار الهجرة القديم.

آخر الشهود الأحياء بشأن مكان القبر:

ولم يخفِ الشيخ سالم المحمدي شعوره بأنّ طريق الهجرة القديم يعاني من الإهمال، وهو بحاجة إلى اهتمام أكبر وترميم لما نقض منه واندثر. وقال بحزن ظاهر: الآثار الموجودة في مدننا

وقرانا تحتوي على كنوز أثرية كثيرة، وهي في انتظار اهتمام الجهات الرسمية، خصوصاً أنّ طريق الهجرة مليء بالآثار والمقتنيات الأثرية التي تحتاج إلى رعاية لاستثمارها في التعريف بالتاريخ الإسلامي.

ويستطرد عمر المضواحي: طوال شهور من البحث عن أشخاص يعرفون عين المكان الذي دفنت فيه أم النبي، لم أستطع الوصول إلا لمعلومة من صديق عن رجل طاعن في السن يعيش مجاوراً لبيت الله العتيق بمكة يعرف المكان كما يعرف تفاصيل خطوط يده، لكنه منعزل عن الناس، ولا يستقبل أحداً كونه عاجزاً عن الحركة، ولم تفلح محاولاتي بلقائه، وأخشى أن يكون آخر الشهود الأحياء عن مكان قبر السيدة آمنة بنت وهب.

الأبواء في كتب السيرة:

جاء في كتب السيرة أنّ في الأبواء قبر آمنة بنت وهب، أم النبي ﷺ، وكان السبب في دفنها هناك أنّ عبد الله والد النبي محمد ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمراً، فمات بها، فكانت زوجته آمنة تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره. فلما أتى على رسول الله ﷺ ست سنين، خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطلب وأم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، فلما صارت

بالأبواء منصرفة إلى مكة، ماتت بها، ويقال إنّ أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة، وحمل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء.

وجاء في تعريف سيرة الصحابية أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، وهي بركة بنت ثعلبة، أنها هي التي كانت مع آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ حين ذهبت إلى المدينة لزيارة بني النجار أخوال جده عبد المطلب، ولما عادت إلى مكة مرضت آمنة في الطريق، وتوفيت بالأبواء، فعادت أم أيمن بالنبي ﷺ وأصبحت حاضنته، وأوقفت نفسها لرعايته والعناية به، وغمرته بعطفها، كما غمره جده عبد المطلب بحبه، وعوضه الله تعالى بحنان جده وأم أيمن عن حنان الوالدين، وأغرم به عبد المطلب غراماً شديداً وكثيراً ما كان يوصي الحاضنة أم أيمن قائلاً لها: يا بركة، لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، وإنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ ابني هذا نبي هذه الأمة.

وبعد وفاة عبد المطلب حزن عليه رسول الله ﷺ حزناً شديداً، تقول أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب.

وفي كتاب (إنها فاطمة الزهراء) للدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السعودي الأسبق أنّ السيدة آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ

توجهت مع إحدى القوافل عائدة إلى مكة بعد زيارة قبر زوجها في المدينة. . . «وهناك في الأبواء هبت عاصفة هوجاء أخرت مسيرة القافلة أياماً، وتهاوت السيدة آمنة مريضة لا تقوى على السير، ومن ثم أسلمت الروح بين يدي ولدها الحبيب مودعة إياه بقولها: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى. وودع الجثمان الطاهر في صعيد الأبواء، وأوحشت الصحراء كئيبة، وعاد الطفل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ملتاعاً حزيناً كسير الفؤاد».

وأورد المؤلف في مصنفه قصة زيارة النبي ﷺ لقبر أمه بعد أكثر من أربعين سنة من فقدها، تعتاده الذكرى فيستأذن ربه أن يزور قبر أمه فأذن له. وساق حديث شريف جاء فيه «عن عبد الله بن مسعود قال: خرج النبي ﷺ وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلاً ثم ارتفع صوته وانتحب باكياً فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنّ رسول الله ﷺ أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله فقد أبكانا وأفزعنا؟. . . فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله. فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إنّ الذي رأيتموني أناجيه قبر أمي آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي».

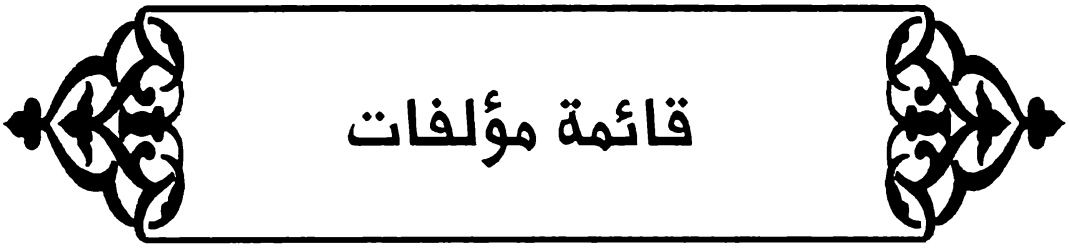

قائمة مؤلفات

هذه قائمة وجدتها بأسماء بعض الكتب والرسائل في نجاة الأبوين الكريمين:

١ - البيان عن خبرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي، للثقة أبي الحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلبي الأزدي.

٢ - أخبار آباء النبي وفضائلهم وإيمانهم، للشيخ الثقة الرجالي أبي علي أحمد بن محمد بن عمار الكوفي المتوفى سنة (٣٤٦هـ).

٣ - مسألة في إيمان آباء النبي، لصهر الشيخ المفيد أبي يعلى محمد ابن الحسن بن حمزة الجعفري، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

٤ - إرشاد الغبي في إسلام آباء النبي، تأليف أحد علماء الهند كما في كشف الظنون.

٥ - الانتصار لوالدي النبي المختار، للسيد مرتضى الزبيدي.

٦ - تحقيق آمال الراجين في أنّ والدي المصطفى من الناجين، لابن الجزار.

٧ - التعظيم والمنة في أنّ أبوي المصطفى في الجنة للإمام السيوطي.

٨ - حديقة الصفا في والدي المصطفى، للسيد مرتضى الزبيدي.

٩ - الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، للإمام السيوطي.

١٠ - ذخائر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين، للأسيري.

١١ - مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى، لوحدي الرومي.

١٢ - مسالك الحنفا في والدي المصطفى، للإمام السيوطي.

١٣ - مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيد الكونين، للمنيني.

١٤ - نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، للإمام السيوطي.

١٥ - هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام، للبديعي.

١٦ - أمهات النبي، للمدائني.

١٧ - الأنوار النبوية في آباء خير البرية، للرفيعي الأندلسي.

١٨ - بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفى وعمه أبي طالب، للأزهري اللاذقي.

١٩ - بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام، لإدريس بن محفوظ.

٢٠ - تأديب المتمردين في حق الأبوين، لعبد الأحد بن مصطفى الكتاهي السيواسي.

٢١ - رد على من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين، للبخشي.

٢٢ - سداد الدين وسدان الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين، للبرزنجي.

٢٣ - قرة العين في إيمان الأبوين للدوايخي.

٢٤ - القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار، للديربي.

٢٥ - المقامة السندسية في الآباء الشريفة المصطفوية، للإمام السيوطي.

٢٦ - الجواهر المضية في حق أبوي خير البرية، للتمرتاشي.

٢٧ - سبيل السلام في حكم آباء سيد الأنام، لمحمد بن عمر البالي.

٢٨ - أخبار آباء النبي، للكوفي ذريعة.

٢٩ - أنباء الأصفياء في حق آباء المصطفى، للرومي الأماسي.

٣٠ - تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى، للغنيمي.

٣١ - رسالة في أبوي النبي، للفناري.

٣٢ - سبيل النجاة، للسيوطي.

٣٣ - آباء النبي، لابن عمار.

٣٤ - السيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرسول، لأحمد الشهرزوري.

٣٥ - خلاصة الوفا في طهارة أصول المصطفى من الشرك والجفا، لمحمد بن يحيى بن الطالب.

٣٦ - مباهج السنة في كون أبوي النبي في الجنة، لابن طولون.

٣٧ - سعادة الدارين بنجاة الأبوين، لمحمد علي بن حسين المالكي.

٣٨ - القول المسدد في نجاة والدي سيدنا محمد، لمحمد بن عبد الرحمن الأهدل.

٣٩ - نخبة الأفكار في تنجية والدي المختار، لمحمد بن سيد إسماعيل الحسني.

٤٠ - إيجاز الكلام في والدي النبي، لمحمد بن محمد التبريزي.

٤١ - السبل الجلية في الآباء العلية، للسيوطي.

٤٢ - كنى آباء الرسول، لابن الكلبي.

٤٣ - أسماء أجداد النبي، للبرماوي.

٤٤ - العقد المنظم في أمهات النبي ﷺ، للسيد مرتضى الزبيدي.

٤٥ - أمهات النبي، لابن المديني.

٤٦ - مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب، للميرزا شمس العلماء محمد حسين بن علي رضا الرباني الجرجاني المشهور بجناب. طبع في بومباي سنة (١٣١١هـ).

المصادر

١ - القرآن الكريم.
٢ - أبجد العلوم، للتاقنوجي.
٣ - الاحكام، للآمدي.
٤ - إرشاد القلوب، للديلمي.
٥ - أصول السرخسي.
٦ - أعلام النبوة، للماوردي.
٧ - الإيمان، لابن مندة.
٨ - بحار الأنوار، للمجلسي.
٩ - البداية والنهاية، لابن كثير.
١٠ - البرهان في أصول الفقه، للجويني.
١١ - تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، للمباركفوري.
١٢ - تدريب الراوي، للسيوطي.
١٣ - تفسير ابن كثير.
١٤ - تفسير أضواء البيان، للشنقيطي.
١٥ - تفسير روح البيان، للألوسي.
١٦ - تفسير الطبري.

١٧ - تفسير القرطبي.
١٨ - التفسير الكبير، للفخر الرازي.
١٩ - تقريب التهذيب، لابن حجر.
٢٠ - تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني.
٢١ - تهذيب التهذيب، لابن حجر.
٢٢ - حاشية ابن القيم.
٢٣ - الخصائص الكبرى، للسيوطي.
٢٤ - الخصال، للصدوق.
٢٥ - الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، للسيوطي.
٢٦ - الرحيق المختوم، للمباركفوري.
٢٧ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي.
٢٨ - السنن الكبرى، للبيهقي.
٢٩ - سنن ابن ماجة.
٣٠ - سنن أبي داود.
٣١ - سنن الترمذي.
٣٢ - السيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين الحلبي.
٣٣ - السيرة النبوية، لزيني دحلان.
٣٤ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك.
٣٥ - شرح السيوطي على سنن النسائي.

٣٦ - شعب الإيمان، للبيهقي.
٣٧ - صحيح ابن حبان.
٣٨ - صحيح البخاري.
٣٩ - صحيح الجامع الصحيح، للألباني.
٤٠ - صحيح مسلم.
٤١ - الطبقات الكبرى، لابن سعد.
٤٢ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر.
٤٣ - الفصول في الأصول، للجصاص.
٤٤ - فضل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل.
٤٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي.
٤٦ - الكافي، للكليني.
٤٧ - الكامل في ضعفاء الرجال، للجرجاني.
٤٨ - كشف الخفاء، للعجلوني.
٤٩ - كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق.
٥٠ - كنز العمال، للمتقي الهندي.
٥١ - اللمع، لأبي إسحاق الشيرازي.
٥٢ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للسفاريني.
٥٣ - مسالك الحنفا في نجاة والدي المصطفى، للسيوطي.
٥٤ - المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري.

٥٥ - مجمع الزوائد، للهيثمي.
٥٦ - مجموع الفتاوى، لابن تيمية.
٥٧ - المجموع في شرح المهذب، للنووي.
٥٨ - محاسن التأويل، للقاسمي.
٥٩ - مختصر العلوم، للذهبي.
٦٠ - المستصفى، للغزالي.
٦١ - مسند الإمام أحمد.
٦٢ - مسند البزار.
٦٣ - مشكل الآثار، للطحاوي.
٦٤ - المعجم الأوسط، للطبراني.
٦٥ - معجم معالم فقه المناسك، للمؤلف.
٦٦ - المغني في الضعفاء، للذهبي.
٦٧ - من لا يحضره الفقيه، للصدوق.
٦٨ - المنح المكيّة، في شرح الهمزية، لابن حجر الهيتمي.
٦٩ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيتمي.
٧٠ - الموافقات، للشاطبي.
٧١ - ميزان الأصول في نتائج العقول، للسمرقندي.
٧٢ - ميزان الاعتدال، للذهبي.
٧٣ - الورقات، للجويني.

صدر للمؤلف

١ - الحرمان الشريفان، دراسة موجزة.

٢ - الغضب، دراسة سيكولوجية معرفية موضوعية في التراث الإسلامي.

٣ - أسرار العبادات.

٤ - مصادر البحث عن القطيف والقطيفيين (مجلة التراث: ١-٢).

٥ - أضواء على معالم المدينة المنورة وتاريخها.

٦ - فلسفة الحج.

٧ - ثقافتنا الجنسية بين فيض الإسلام واستبداد العادات (طبعة ثانية).

٨ - مطارحات في الدين والفكر والمجتمع (القسم الأول).

٩ - مناسك الحج (طبعة ثانية).

١٠ - فلسفة العبادات.

١١ - الزواج المؤقت بين المشروعية والانحراف (طبعة ثانية).

١٢ - إحياء ليلة النصف من شعبان: الرسالة والمضمون (طبعة ثانية).

١٣ - المنهج التربوي في نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

١٤ - أم النبي سمو المعنى في سمو الذات.

المهيأ للطبع:

١٥ - معجم معالم فقه المناسك (خمسة مجلدات).

١٦ - مطارحات في الدين والفكر والمجتمع (ثلاثة مجلدات).

١٧ - أعلام التشيع في منطقة الحجاز.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
توطئة	١٧
١ - حديث عبد الله بن مسعود	٢٢
٢ - حديث بريدة	٢٦
٣ - حديث عبد الله بن عباس	٢٧
موقع آمنة وأمهات الرسل والأنبياء	٣١
أدلة المروجين لفكرة شرك أبوي الرسول	٤٩
الجهة الأولى: معارضة الحديثين لظاهر القرآن	٥١
مناقشة هذه الإثارة	٥١
أهل الفترة ناجون	٥٤
الجهة الثانية: المنحى الأصولي	٧٧
الجهة الثالثة: «نقد حديثي الشرك وعللهما»	٧٩
من الكتاب	٨٧
أدلة نجاة أبوي النبي من الكتاب والسنة	٨٧
ما جاء في السنة	٩١
مقولة الشيعة الإمامية	٩٨
نسب السيدة آمنة	١٠٥

بنو زهرة وبنو عبد مناف ١٠٧
زواج آمنة وعبد الله ١٠٨
قبر السيدة آمنة ١١٧
أفعال يستهجنها أهالي القرية على الزائرين ١١٨
الرسول مرّ بين مجموعة قبور بالأبواء ١٢٠
رحلة طويلة إلى مقبرة أم عثمان ١٢٠
تاريخ من حجارة ١٢٢
المكان الذي بات فيه النبي في طريق هجرته ١٢٣
مسجدان صلّى فيهما الرسول في الأبواء ١٢٤
آخر الشهود الأحياء بشأن مكان القبر ١٢٥
الأبواء في كتب السيرة ١٢٦
قائمة مؤلفات ١٢٩
المصادر ١٣٣
صدر للمؤلف ١٣٧
المهيأ للطبع ١٣٨

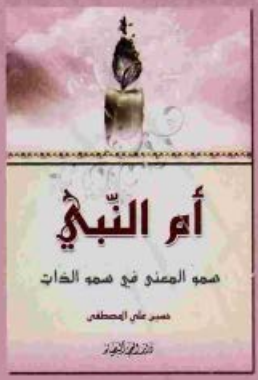

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com